M/909.591
15/320

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945
قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار
التخصص : التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان :

# المراكز الحضارية في السودان الغربي خلال القرن (10هـ- 16م)

# مدينة تنبكت "نموذجا"

إعداد الطالبة :
نسيمة بوجمعة

إشراف الأستاذ :
الحواس غربي

لجنة المناقشة :

| الأستاذ | الرتبة | الصفة | الجامعة |
|---|---|---|---|
| عبد الكريم قرين | استاذ مساعد "أ" | رئيسا | جامعة08ماي1945م قالمة |
| الحواس غربي | استاذ مساعد "أ" | مشرفا ومقررا | جامعة08ماي1945م قالمة |
| النوي بن مبروك | استاذ مساعد "أ" | عضوا مناقشا | جامعة08ماي1945م قالمة |

السنة الجامعية : 2015/2014 م- 1435/1434هـ

# الإهداء

إلى من رضي بالله ربا و بالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا.

إلى أبي الغالي أحمد (رحمه الله واسكنه فسيح جنانه).

إلى من أرضعتني الحب والحنان ،إلى رمز الحب وبلسم الشفاء ،إلى القلب الناصع أمي الحبيبة.

إلى من حبهم يجري في عروقي...إلى إخوتي عبد الرزاق وكمال وأخواتي حبيبة و سليمة.

إلى أبناء أختي حنان، حكيمة، حياة.

إلى زوجي الغالي عبدو وكل عائلته.

إلى صديقاتي زينب، عائشة ،سلاف ،سميرة ،خديجة ،نجمة ،رحمة ،لبنة شهرة، هناء

والى كل صديقاتي بالإقامة الجامعية صالح يحي بولاية قالمة.

والى كل طلبة قسم التاريخ والآثار بجامعة قالمة.

والى كل من يقرأ هذه المذكرة.

# شكر وعرفان

بعد أن وفقني الله عز وجل في إتمام هذا العمل المتواضع ،لا يسعني إلاأنأتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز رسالتي هذه ، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل غربي العواس على تفضله الإشراف على هذا البحث وعلى توجيهاته ونصائحه البناءةوأتمنى له التوفيق في إتمام رسالته.

وفي الأخيرلا يسعني إلاأنأشكر كلأساتذتيبالجامعة الذين كان لهم الفضل الكبير في إيصالي لهذه الدرجة ، وأخص بالذكر عبد الكريم قرين و مسعود خالدي و كل دكاترة وأساتذة قسم التاريخ والآثار لجامعة قالمة 08 ماي 1945م من السنة الأولى الى السنة الثانية ماستر.

نسيمة بوجمعة

# المقدمة

يطلق الجغرافيون على المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود بحيرة تشاد شرقا،ومن الصحراء إلى القرب من خط الاستواء جنوبا بالسودان الغربي،وباختصار تشمل المنطقة ما يعرف اليوم بحوض السنغال والمناطق المحيطة به وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط،هذه المنطقة ونتيجة تفاعلها الحضاري مع مصر والحجاز وبلدان الشمال الإفريقي،فان حملة الرسالة الإسلامية استغلوا التجارة والمصاهرة والفتوحات الإسلامية وأسسوا مراكز علمية وثقافية كبيرة لترسيخ مبادئ هذا الدين وثقافته،وكان أشهرها جني،غاو،ولاتة وتنبكت...

غير أن الذي لفت انتباهي من بين المراكز الحضارية هي مدينة تنبكت،هذه المدينة التي تصارعت دول أوروبية من اجل الوصول إليها والسيطرة على ثرواتها،كما مات العديد من الرجال من اجل الكشف عن غموضها.

وقد أطلق عليها العديد من الأسماء منها: "جوهرة الصحراء"، "المدينة الأسطورية"...،هذه المدينة نشأت منذ البداية نشأة إسلامية فقد وصفها عبد الرحمان السعدي بقوله:"...هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة،التي ما دنستها عبادة الأوثان،ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان..."

ووفقا لهذا كان موضوعي بعنوان المراكز الحضارية في السودان الغربي خلال القرن (10هـ/16م) مدينة تنبكت "نموذجا ".

وتتمثل أهمية الموضوع في الدور الذي لعبته المدينة على الصعيدين التجاري والثقافي،فالأول لعبته منذ نشأتها حيث تعتبر ملتقى القوافل التجارية والنهرية بسبب موقعها المتميز لتتحول بعدها إلى مركز للإشعاع الثقافي والديني في السودان الغربي خاصة وغرب إفريقيا عامة.

فقد دفعتني العديد من الأسباب لاختيار هذا الموضوع ويمكن إيجازها فيما يلي:

- قلة الدراسات والكتابات حول تاريخ إفريقيا عامة وغرب إفريقيا خاصة.
- الدافع العلمي المتمثل في محاولة الدفع بعجلة توجيه البحث نحو السودان الغربي،إذ أن الكثير من الناس يجهلون الحواضر التي عرفتها هذه المنطقة.

- اهتمامي بدراسة هذه المدينة التي ولدت مسلمة،وكانت حلقة وصل بين دول شمال الصحراء وجنوبها.
- أن الغرب ساد لديهم اعتقاد بان غرب إفريقيا ظلت خاضعة للركود على عكس القارات الأخرى،حيث يزعمون أن إفريقيا لم تدخل مسرح التاريخ إلا بعل التدخل الأوروبي.
- بالإضافة إلى الدافع الشخصي بحكم أن قسم التاريخ والآثار لجامعة قالمة لم يتطرقوا لدراسة بمثل هذا الموضوع من قبل.

وتبعا لذلك يمكننا طرح الإشكال الأتي:

ما هي العوامل التي اجتمعت لتجعل تنبكت من أهم حواضر السودان الغربي في القرن 10هـ/16م؟.

وانطلاقا من هذا الأشكال يمكننا طرح العديد من التساؤلات:

لماذا سميت تنبكت بهذا الاسم؟وما تاريخ نشأتها؟وأين تقع؟وما هي أهم التطورات التي شهدتها على المستوى العمراني والسياسي والثقافي،وما هي دوافع الحملة المغربية على المدينة؟وما هي المراحل التي مر بها الحكم المغربي للمدينة؟وما أثره على مدينة تنبكت؟

وللإجابة على هاته الأسئلة قمت بوضع خطة قسمت من خلالها مذكرتي هذه إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع بالإضافة إلى قائمة الملاحق.

**الفصل الأول** تحت عنوان **لمحة عن مدينة تنبكت**، تحدثت فيه عن أصل تسمية المدينة ونشأتها،والموقع الجغرافي للمدينة وأهميته،ثم فئات المجتمع التي عرفتها المدينة وعاداتهم وتقاليدهم،ثم دراسة التطورات التي عرفتها المدينة على المستوى العمراني والسياسي واقصد بذلك القوى السياسية التي تداولت على حكم المدينة.

أما **الفصل الثاني** فقد كان تحت عنوان **الأوضاع الاقتصادية لمدينة تنبكت**، حيث تطرقت فيه عن أهم الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة في المدينة من فلاحة،تجارة وصناعة.

اما **الفصل الثالث** فتناولت فيه **الأوضاع الثقافية للمدينة** وتحدثت فيه عن التعليم ومؤسساته من مساجد ومدارس والشهادات التي كانت تمنح لطلاب العلم،وكذلك العلماء المؤثرون في الحركة الفكرية سواء الوافدون الى المدينة للتدريس والتعلم،والعلماء الذين رحلوا طلبا للعلم،ثم تحدثت عن مؤرخو المدينة حيث تعتبر كتاباتهم من أهم الكتابات التي اعتمدت عليها في مذكرتي ثم تطرقت إلى نظام القضاء بالمدينة.

أما **الفصل الرابع** وضعته تحت عنوان **مدينة تنبكت في العهد المغربي السعدي**،تحدثت فيه على **حملة المنصور الذهبي** للمدينة وأسبابها وكيفية التحضير لها،وكذلك المراحل التي مر بها الحكم المغربي بتنبكت،وفي الأخير تطرقت إلى أهم القضاة والأئمة بالمدينة على العهد المغربي السعدي.

ولدراسة هذا الموضوع بطريقة علمية أكاديمية صحيحة اتبعت المنهج التاريخي التحليلي والوصفي.

ولانجاز هذه المذكرة والإلمام بجوانبها قدر المستطاع،كان لزاما علي جمع اكبر قدر ممكن من المادة العلمية من مصادر،مراجع ورسائل جامعية وغيرها ولعل من أهمها:

***أولا:المصادر:***

**I:المصادر التاريخية السودانية**: كان أهمها:

- كتاب **تاريخ السودان** لمؤلفه **عبد الرحمان السعدي**،حيث أفادني كثيرا خاصة وانه ابن المنطقة ويعتبر شاهدا لما يؤرخه من أحداث لأنه شاهدها،وقد استعنت به فيما يخص تاريخ نشأة المدينة وعادات أهلها وكذلك أوضاع المدينة أثناء الحكم المغربي.
- كتاب **تاريخ الفتاش في أخبار الجيوش وأكابر الناس لـ:محمود كعت**،الذي لا يقل أهمية على كتاب عبد الرحمان السعدي،خاصة وانه ابن المنطقة هو الأخر حيث أكمل الست سنوات الأخيرة احد أحفاده ،وقد أفادني فيما يتعلق بعادات أهل المدينة وأحوالها أثناء حكم سني علي كما انه عاش أحداث الغزو المغربي للمدينة.

- كتاب **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** و كتاب **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج** لمؤلفه **احمد بابا التنبكتي**،وهما موسوعتان استفدت منها كثيرا في التعريف بالعديد من العلماء وقضاة وأئمة المنطقة.
- كتاب **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** لمؤلفه **محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي**،الذي احتوى على أكثر من مائتي(200) ترجمة لعلماء الحواضر السودانية.

**2:المصادر الجغرافية وكتب الرحلات:** فمن أهم كتب الرحالة والجغرافيون الذين اعتمدت عليهم في إعداد مذكرتي هم:

- كتاب **وصف إفريقيا** للمؤرخ **حسن الوزان** المعروف بليون الإفريقي الذي أفادني في الفصل الأول والثاني في التعريف ببعض المدن السودانية ومواقعها وخصائصها،كما انه أفادني أيضا من الناحية الاقتصادية للمدينة.
- كتاب **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لـ: البكري**،الذي يعتبر جزء من كتاب المسالك والممالك،هذا الكتاب تناول مسالك الأرض وممالكها وصفتها وبعدها وصفا دقيقا تفصيليا واستعنت به في إزالة الغموض عن بعض المدن في منطقة السودان الغربي.
- كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** للمؤلف **الشريف الإدريسي**،ويعد من المصادر المهمة التي دعمت بها بحثي هذا لما يحتويه من معلومات مهمة عن الطرق والمسالك التجارية والأنشطة الاقتصادية.
- كتاب **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار للرحالة ابن بطوطة**،الذي استعنت به فيما يخص الحياة السياسية والاجتماعية لمدينة تنبكت.

***ثانيا:المراجع:***

سواء كانت هاته المراجع عربية أو معربة أو أجنبية فهي تعتبر من المراجع المهمة التي تناولت موضوع البحث ولو في بضع صفحات والتي ساعدتني ولو بصفة صغيرة،وتكمن قيمتها في كونها من الكتب التي ألفها مختصون في الدراسات الإفريقية جنوب الصحراء ولعل أهمها:

- كتاب **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من القرن 15م إلى القرن 18م** للكاتب **الهادي المبروك الدالي**،وقد أفادني هذا الكتاب في معرفة الوضع السياسي للمدينة،بالإضافة إلى البنية الاقتصادية لها من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها.
- كتاب **مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493هـ-1591م** لـ:**عبد القادر زبايدية**،الذي استعنت به في التعرف على حملة احمد المنصور الذهبي على المدينة،وكذلك كتاب أخر له بعنوان **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء** الذي لا يقل أهمية على كتابه الأول حيث استفدت منه فيما يخص التدريس ومراحله بالإضافة إلى انه دلني على أهم المسالك التجارية ونظم التعامل الاقتصادي.
- كتاب **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا** لمؤلفه **دندش عصمت عبد اللطيف**،وقد أفادني في معرفة الدور الذي لعبته المدينة في نشر الثقافة في المنطقة.
- كتاب **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م ليحي بوعزيز**،وكتاب **تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** للكاتب **عبد الرحمان زكي** وغيرها من المراجع.

بالإضافة إلى ثلاثة مراجع باللغة الفرنسية وهي:

- Dubois ,(F)Tombouctо la Mysterieuse,paris,1897.
- Hascquard ,(A)Mongraphie de Tombouctо,paris,1900.
- Barth,(H),Trevls and Discoveries in North and Central, Vol3 ,London,1859.

***ثالثا:المجلات:***

- مجلة كان بعددها السادس عشر
- مجلة المؤرخ العربي بعددها الثالث عشر.

***رابعا:المقالات:***

- مقال لـ:**عبد الحميد جنيدي** تحت عنوان **مدينة تنبكت نشأة المدينة وتطورها.**

- مقال لـــ:محمد محمد كيتان ميغا تحت عنوان مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكت وغاو وجني في عهد الاساكي.

*خامسا :الموسوعات :*

- موسوعة التاريخ الإسلامي لـــ:عبد الفتاح غنيمي.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لـــ:احمد شلبي.

سادسا :الرسائل الجامعية:

- السيادة السعدية بالبلاد السودانية 1591هـــ/1660م لـــ:غربي الحواس.
- الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي على عهد الاسقيين(899هـــ/1581م)لـــ: مرزقلان لعماري.

ومن الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذه المذكرة قلة المصادر التي تتحدث عن هذه المدينة خاصة فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية لها.

وفي الختام ارجوا أن أكون قد وفقت فى التعريف بالمدينة،وقد بذلت ما بوسعي وكل ما استطعت من جهد لتدوين هذه المذكرة مساهمة بسيطة في تدوين جانب من تراثنا الإفريقي.

وادعوا الله أن أكون قد وفقت في كل ما كتبته من غير ادعاء بالكمال والكمال إلا لله وحده، واسأل الله التوفيق.

# الفصل الاول

# لمحة عن مدينة تنبكت

*أولا:نشأتها:*

*1-أصل التسمية والنشأة.*
*2-الموقع الجغرافي.*
*3-التركيبة الاجتماعية.*

*ثانيا:تطور المدينة:*

*1-التطور العمراني.*
*2 التطور السياسي*
*أ- تنبكت في عهد مملكة مالي.*

*ب- تنبكت في عهد حكم طوارق مغشرن.*

*جـ- تنبكت في عهد سني علي.*

## أولا: نشأتها:

### 1-أصل التسمية والنشأة:

قامت مدينة تنبكت الإسلامية حول بئر ماء ،كانت القوافل التجارية تتوقف بإبلها لتروي عطشها وتتزود منه[1] هذا الموقع كانت تسكنه امرأة عجوز من الطوارق[2] اسمها بكتو وعليها سمي المكان (تين بكتو) بمعنى مكان بكتو وقيل تين بمعنى بئر[3]وبكت تعني اسم المرأة والكلمة مجتمعة تعني تنبكت[4] هذه العجوز اشتهرت بالأمانة[5]وكان الطوارق قد عهدوا إليها بالبقاء في ذلك المكان حيث يغادرونه في رحلتهم الصيفية وكانت تحرس لهم في بعض المخازن والبيوت[6]بالإضافة إلى بعض الأشياء التي كانوا في غير حاجة لها لكي ينقلوها معهم في مناطق الشمال حيث يستقروا،وعندما يصل الطارقي إلى موطنه الأصلي يسألونه بعض الأسئلة منها أين قضيت فترة الجفاف؟وأين لجأت بقطعان ماشيتك أثناء سفرك؟وأين خبأت أمتعتك؟فيرد:وضعتها عند تين بكتو،وبمرور الزمن اندمجت الكلمتين معا وأصبحت تين بكتو ثم تمبكتو وتنبكت وبذلك سميت المدينة[7].

لا يزال مكان بكتو العجوز الطارقية، التي ينسب إليها اسم المدينة موجودا إلى اليوم وهو عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة[8].

(1)عمر بن سالم باكور ،**النهضة العلمية والثقافية في مدينة تنبكت الإسلامية من القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي**،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية،د-ت،ص 01.

(2)تسميتهم نسبة إلى طارق بن زياد لطرقهم للصحراء والتوغل فيها ينسبون إلى صنهاجة والتي منها لمتونة ومسوفة وجدالة ويتوزعون على الصحراء ولا يستقرون وهم على دين الإسلام ،ويطلق عليهم اسم الملثمين...انظر محمد لسان الدين بن الخطيب،**الحلل النموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،تص-**البشير القوزشي**،ط1 ،مطبعة التقدم الإسلامية،تونس،د-ت،ص 06-08.

(3)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493م-1591م**،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،د-ت، ص 100.

(4)احمد بابير الأروالي،**السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**،تح-الهادي المبروك الدالي،ط1 ،جمعية الدعوة الإسلامية العلمية،بنغازي، 2001،ص 10.

(5)Dubois,(F),TOMBOUCTO LU MYSTERIEUSE,paris,1962,p 162.

(6)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية **جنوب الصحراء**،دراسات ونصوص،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989م،ص 107.

(7)علي محمد عبد اللطيف،**تمبكتو أسطورة التاريخ**،ط01،دار الكتب الوطنية،بنغازي، 2001م،ص 85.

(8)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت(تمبوكتو)،نشأة المدينة وتطورها**،مجلة كان،السنة الخامسة،العدد 16،رجب 1433 هـ/يونيو 2012م،ص 112.

أما فيما يخص نطق الكلمة فقد وقع اختلاف حولها من طرف المؤرخين،فهناك من يقول بضم التاء الأولى والثانية وذلك ما اتفق عليه كل من المؤرخين عبد الرحمان السعدي،وكذلك الفتاش لمحمود كعت،ونيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي،وتذكرة النسيان في تاريخ ملوك السودان لابن جرو المجهول على إطلاق اسم"تنبكت"،إلا أن ابن بطوطة نطقها بضم التاء وسكون النون وضم الباء الموجودة وسكون الكاف وضم التاء الثانية وبعدها واو فنطقها "تنبكتو"،وهي عند بعض المستشرقين تمبكتو بالميم فعلى سبيل المثال كتبها هكذا TIMBUCTOO كل من:ارنولد فيج دبيوا،بارت،ميز وحسن إبراهيم حسن وغيرهم بالإضافة إلى دائرة المعارف الإسلامية[1].

والنطق للكلمة يتغير بتغير للغات فباللغة الفرنسية تنطق تومبوكتو TOMBOUCTO وباللغة الانجليزية تنطق تيمبكتو،ونطقها صاحب كتاب إفريقيا لكربخال مارمول تارة تمبكتو وتارة أخرى تنبكتو[2].

أما بالنسبة لنشأة المدينة فقد وقع اختلاف حوله هو الأخر من طرف عدد كبير من المؤرخين،فحسن الوزان يرى أن المدينة أسسها ملك يدعى منسا سليمان سنة 610هـ/1213م على بعد اثني عشر ميلا من احد فروع النيجر وبأربعة فراسخ على ضفاف النهر[3]كما أن مارمول كربخال يوافقه الرأي هو الأخر في مؤسسها وتاريخ التأسيس[4].

هذان الرأيان مردودان على صاحبيهما لأن الملك منسا سليمان الذي حكم مملكة مالي عام 742هـ/1341م،إلى غاية 762هـ/1360م[5] أما عبد الرحمان السعدي يرى أن المدينة نشأت على أيدي طوارق مغشرن في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر

---

(1)احمد فتوح احمد عابدين،**الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس والسابع عشر تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي**،رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة،السنة الجامعية 1989م-1990م،ص 110.

(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م**،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الجزائر،2008-2009م،ص،.20.

(3)حسن الوزان بن محمد ليون الإفريقي،**وصف إفريقيا**،02ج،تر-محمد حجي ومحمد الأخضر،ط02،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983م،ج02،ص 165.

(4)مارمول كربخال،**تاريخ إفريقيا العام**،تر-محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون،03 أجزاء،دار نشر المعرفة،الرباط،1989م،ج03،ص 539.

(5)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء في نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**،الدار المصرية اللبنانية،1999م،ص 63.

ميلادي،هؤلاء كانوا ينزلون بها في فصل الصيف ثم يرتحلون في فصل الخريف وهكذا اختاروا موضع البلدة الطاهرة الزكية[1].

أما الباحث الانجليزي سبنسر ترمنجهام فيري أن تاريخ نشأتها كان في أواخر القرن الخامس الهجري في سنة 490هـ/1097م[2]في عهد يوسف بن تاشفين[3]اما المؤرخ فيج يرى أن المدينة أقيمت سنة 1100م،من قبل الطوارق الذين هاجروا بقطعانهم جنوبا من أروان في الإقليم الشمالي،واستخدمت في البداية كمضرب خيام موسمي في الصيف،ثم كمستودع لحفظ الأغذية والمواد التموينية الأخرى،وبما أن عبد الرحمان السعدي ابن المدينة ويعرفها أحسن من غيره،نحن نميل إلى رأيه الذي يرى أن تاريخ نشأتها كان في أواخر القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي(05هـ/11م)،ويتضح من خلال هذه الاختلافات أن المدينة أنشأت على يد طوارق مغشرن ولا يختلف اثنان في كون الطوارق هم مؤسسو تنبكت الأوائل[4].

*2-الموقع الجغرافي:*

تقع مدينة تنبكت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى[5]وعلى منحنى نهر النيجر[6]عند دوراته وتقوسه من الناحية الشمالية إلى الناحية الجنوبية وهي على ارتفاع 245م من مستوى النهر[7]على مسافة اثني عشر ميلا منه،وقد تميزت هذه المدينة بموقعها بموقعها الفريد على نهر النيجر الذي ميزها عن غيرها من البلدان المجاورة[8]حيث تكون

(1) عبد الرحمان بن عبد الله العزيز السعدي،**تاريخ السودان**،تحقيق هوداس،باريس،1964م،ص 20.
(2)عبد الحميد جنيدي،مجلة كان،العدد 16،المرجع السابق،ص 112.
(3)عصمت عبد اللطيف دندش،**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(1038-1121هـ)**ط01،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988م،ص163.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت..**،المرجع السابق،ص 22.
(5)تمتد الصحراء الكبرى من ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب وحتى حدود سودان وادي النيل في الشرق،يبلغ طول هذه المسافة 400كم كما يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 1600كم،وهي من اجف وأحر صحاري العالم،ومع هذا يوجد بها عدد قليل من الآبار والواحات..انظر فيج دي جي،**تاريخ غرب إفريقيا**،تر-السيد يوسف نصر،ط01،دار المعارف،القاهرة،1982م،ص 19.
(6)يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكونغو ،وهو يمتد في غرب إفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي وينتهي عند المصب بدلتا كثيرة الفروع،ويتصل به عدة مسافة غير قصيرة من مصب نهر بنوى...انظر الهام محمد علي ذهني،**جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850م/1914م**،دار المريخ للنشر،الرياض،1977م،ص 20.
(7)عبد الحميد جنيدي،مجلة كان،العدد 16،المرجع السابق،ص112.
(8)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**،ط02،الدار المصرية اللبنانية،2001،ص 99.

المسافة بينها وبين النهر في فصل الصيف ستة عشر ميلا[1]أي نحو 31 كم تقريبا وفي فصل الخريف يقترب إليها ماء النهر ليصبح على بعد سبعة أميال أي نحو 3.5 كم[2]وفي فصل الشتاء يقترب ماء النهر من المدينة مما يسهل حركة السفن الصغار[3]حيث تستفيد المدينة من نهر النيجر وذلك من خلال النقل النهري وهي بعيدة عنه كثيرا مما يجنبها فيضاناتها التي تشتهر بها[4]تقع المدينة على خط العرض 16°-43° شمالا وخط طول 05°شرقا[5].

وهناك من يقول أنها تقع على خط عرض 17°-40° وخط طول 03°-50°[6]وقد تحدث عن موقعها عدد كبير من مؤرخي السودان الغربي فقد ذكر صاحب السعادة الأبدية أن المسافة بينهما وبين قرية اروان(تقع شمال مدينة تنبكت) ثمانية مراحل ومسافة سبخة تودني التي يجلبون منها الملح نحو عشرين مرحلة،وبينها وبين قرية كوندام على جهة غروب الشمس بقدر تسعين ميلا وبينها وبين قرية ولاتة[7]مسيرة خمسة عشر يوما وقرية وقرية النعمة اقرب منها بيومين وبينها وبين قرية صبت نحو اثني عشرة مرحلة في البر على جهة غروب الشمس في الشتاء،وبين تنبكت ومدينة جاو[8]عشرة مراحل جهة الشرق،وبين

(1)مولاي احمد بابير الارواني،المصدر السابق،ص 45.
(2)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت ودورها الحضاري...،المرجع السابق،ص 23.
(3)مولاي احمد بابير الارواني،المصدر السابق،ص 45.
(4)إسماعيل العربي،**الصحراء الكبرى وشواطئها**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1983م،ص 312.
(5)Mgr ,a,hascouard,MANOGRAPHIE DE TOMBOCTOU,societes des etude colonialles et maritines ,paris,1900,p01.
(6)عبد الحميد جنيدي،مجلة كان،العدد 16المرجع السابق،ص 112.
(7)وهي مملكة صغيرة حاملة بالنسبة لستر ممالك السودان فليس لها من الأملاك المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة واكواخ متفرقة بين حدائق النخيل وتبعد هذه القرى بحوالي 300 ميل جنوب نون و500 ميل شمال تنبكتو و100 ميل من المحيط..انظر حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 161.
(8)وتسمى أيضا كاغ وقد اختلفت المصادر في تسميتها فمثلا عند الحسن الوزان والشريف الإدريسي سميت يكوكو وهي مدينة مشهورة الذكر من بلاد السودان كبيرة وهي على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه شرب أهلها ويذكر كثير من السودانيين أن مدينة كوكو هذه على ضفة الخليج وذكر قوم آخرون أنها على نهر يمد النيل..انظر الشريف الإدريسي(أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**،مج 06،مكتبة الثقافة الدينية،دت،،ص28.

تنبكت وقرية أبو جبية نحو ثماني مراحل،وهي قرية في الصحراء تقترب من اروان بيومين[1]وبينها بين توات[2]تسعة وعشرون يوما[3].

هذه المدينة امتازت بموقع وسيط للمسافرين بطريق البر أو النهر[4]حيث تقع بالقرب من طرق القوافل التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي[5]وهي تقع في مكان استراتيجي هام عظيم فهي على ملتقى الطرق التي تمر بها القوافل التجارية عبر الصحراء كما تخص بموقعها النهري على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي وبذلك تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية والنهرية التي تفد إليها من مصر والمغرب وطرابلس عن طريق الصحراء،ومن أوروبا عن طريق المحيط ثم النهر[6].

والمدينة هي بناء على جانبين من واحة متجهة شرق غرب وعلى الميل الجنوبي الثاني واحة موازية للأولى وبالشمال منها،الشكل العام للمدينة هو واحد من مثلث قاعدته بالجنوب ومحيطها نحو 03 أميال أي نحو 06 كم تقريبا،والمدينة قسمها العالم النمساوي الدكتور اوسكار لانز الذي زار المدينة في عام 1297هـ/880م إلى سبعة أحياء هذه الأحياء اختلف المؤرخون في نطقها فمثلا حي سناقونقوا (SANEGOUNGOU)نطقها الباحث سنكي مودي سيوكو بـــ:سناقونقون(SANEGOUNGOUN) وكذا حي يوبو (YOUBOU) نطقه بـــ:يوبوبير،وحي سنقور بير او ديجنقر نطقها جنقر بير،وحي سراكينا نطقها (SAREKEINA) وحي بيري كوندا نطقها بيني كوندا وحي باقندي

---

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري ...،المرجع السابق،ص 101.

(2)يمثل إقليم توات حاليا ولاية أدرار بالجنوب الجزائري باستثناء دائرة البرج،يحدها من الشمال ولاية البيض،بشار و غرداية،ومن الغرب جمهورية موريتانيا ومن الجنوب جمهورية مالي ومن الشرق ولاية تمنراست،تتكون من 11 دائرة و28 بلدية،نضاف إليها عين صالح التابعة إداريا لعين صالح...انظر جعفري مبارك،الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ/18م،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الجزائر،2007م-2008م،ص 17.

(3) نفسه،ص 167.

(4)احمد زكي،تاريخ الدولة الإسلامية بإفريقيا الغربية،المؤسسة العربية الوطنية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،1961م،ص 109.

(5)مطير سعد غيث،الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين(10-11هـ)(16-17م)،ط1،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،ص 187-188.

(6)احمد فتوح احمد عابدين،المرجع السابق،ص 111.

نطقها (BADJNDE)وحي سنكوري نطقها المؤرخ قليكس دبيوا بهذا اللفظ(SANKORE)[1].

*3-التركيبة الاجتماعية:*

إن موقع مدينة تنبكت الاستراتيجي كما سبق ذكره جعلها تكون مقصد العديد من الأجناس،فالقلقشندي يرى أن سودانيو غرب إفريقيا،وجدوا في تنبكت ضالتهم المنشودة أو المدينة الفاضلة فاخذوا يتوافدون عليها حيث وجدوا المساواة في ظل الدين الإسلامي الحنيف فتوحدت القبائل والجماعات وساد العدل والسلام وجو المعاملات في المدينة وقد تأثر أهلها بما تعلموه من ثقافة دينية ولغة عربية سواء من الملثمين[2]أو الطوارق أو المرابطين منذ نشأة المدينة في القرن الحادي عشر[3].

ويؤكد عبد الرحمان السعدي ذلك بقوله:"...إن المدينة سكنها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر،غدامس[4]،توات، درعة ،تافلالت،فاس،سوس وبيط فانتقل الجميع إليها وسكنوا فيها وزراة على تلك قبائل صنهاجة[5]بأجناسها..."[6].

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت ودورها الحضاري**...،المرجع السابق،ص 25.

(2)سموا بالملثمين لاتخاذهم اللثام شعارا لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب وهم يتخذون اللثام منذ طفولتهم فهم يعتقدون أن ظهور الفم عورة يجب إخفائها فلا يتركون اللثام ليلا او نهارا...فقد كانوا يتخذون اللثام ربما لشدة الحر والبرد أو لان قوما من أعدائهم كانوا يقصدون ديارهم عند غيابهم فيأخذون أموالهم ويسبون حريمهم فأشار عليهم بعض مشيخهم أن تتخذ النساء زي الرجال،ويرسلوهم في ناحية،وان يقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا بعدها اللثام تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو...انظر عصمت عبد اللطيف دندش،المرجع السابق،ص 27-28.

(3)احمد بن علي القلقشندي،**صبح الاعشا في صناعة الانشا**،تعليق وشرح محمد حسن شمس الدين،ج15،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت،ج05،ص 298.

(4)منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان،يديرون شؤونهم ويؤدون الخراج إلى الأعراب وكانوا من قبل خاضعين لملك تونس أي لخليفته في طرابلس...انظر حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 146.

(5)إحدى القبائل الكبرى،وأعظم قبائل البرانس بالمغرب،حتى لا تكاد ناحية من بلاد المغرب تخلوا من بطن من بطونها فقد كانت بعد الفتح الإسلامي تؤيد الفاطميين ضد قبائل زناته التي كانت تؤيد الأمويين وبسبب هذا نشا نزاع بين القبيلتين استمر عدة قرون،وقد أسست هذه القبائل الصنهاجية إمارات مستقلة بتونس(بنو زيري)بالجزائر(بنو حماد)وبالمغرب الأقصى(المرابطين)،ولا تزال مجموعة من هذه القبائل تحمل نفس الاسم الآن بإقليمي تازة والناظور في شرق وشمال المملكة المغربية...انظر محمد سليمان الطيب، ،**موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية**،ج1، ،ط2،دار الفكر العربي،مدينة نصر،1997م ،ج01،ص 1057.

(6)عبد الرحمان السعدي،المصدر السابق،ص 21.

كما سكنها علماء قبائل جداله العربية،وعلماء كونتا"موريتانيا" القادمون من أدرار الذين جاءوا تنبكت بعد أقول ولاتة حيث وصفها المختار بن محمد بن المختار عندما بعث برسالة إلى إمام المسلمين وأمير المؤمنين الشيخ احمد بن محمد ابن بكر بن سعيد موضوعها محاولة الصلح بين الأمير والطوارق حيث قال:"...إذ هي قاعدة السودان الضاربة في البحر والبر الجامعة بين السود والحمر..."[1] كما كان بها سكان محليون قدموا من مختلف مناطق السودان الغربي بهدف الاستقرار الدائم[2].

أما العرب فان احدى فصائل بني هلال تقدمت من نواحي طرابلس إلى واحة ودان،ومن هناك إلى ولاتة ثم زحفت نحو السودان،فاختلفوا مع البربر القادمين من الشمال الغربي[3]حيث حدثت مصاهرة بين السودانيين والعرب والبربر المقيمين عندهم خاصة الأغنياء منهم،فالمصاهرة كانت تتم حتى مع ملوك السودان فقد قام احد ملوك مالي بتزويج ابنتيه مع اخوين من المغرب كما أن زعيم اللمتونيين أبا بكر بن عمر فاتح بلاد السودان زوج هو الأخر ابنته لأحد ملوك مالي[4].

كما حدثت مصاهرة بين المغاربة من فاس،وأهالي تنبكت وقد تحدث محمود كعت عن زواج الشريف الحسني احمد الصقلي في تنبكت،من امرأة عربية من أهل تافلالت اسمها زينب فولدت له مزوار،محمد،سليمان،رقية وزينب[5].

---

(1)البادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري ...،المرجع السابق،ص 98-100.
(2)علي محمد عبد اللطيف دندش،المرجع السابق،ص 86.
(3)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكتو ودورها الحضاري...**،المرجع السابق،ص 27.
(4)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 541.
(5)محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت،**تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**،تح - هوداس،باريس،1964م،ص 23.

لقد كانت مدينة تنبكت مقسمة إلى عدد من الأحياء،حومة الغدامسيين وكابيرا وكندا[1]وكل حومة خاصة بطائفة من السكان،فحومة الغدامسيين خاصة بأهل غدامس وطرابلس[2]كما سكن المدينة العديد من العلماء والفقهاء والتجار التواتيين الذين كان لهم حي خاص بهم[3] ،وكان هناك أيضا مجموعة من البرابيش[4]الذين يقيمون بالمدينة،هؤلاء سكنوا تنبكت خلال منتصف القرن 10هـ/16م،كما يوجد عدد من تجار ولاته الذين رحلوا إلى تنبكت بعد قيام هذه الأخيرة،وهناك عناصر من الموريين الأسبان،منهم المهندسون ،سلاك القصور ،التجار،الشعراء والباحثون الذين فروا من الأندلس حاملين معهم الثروات الثقافية الغرناطية والقرطبية[5].

- أما إذا انتقلنا للحديث عن السكان ونشاطهم وصفاتهم وعاداتهم في مدينة تنبكت،وعن حياة الأمن والاستقرار في المدينة فانه يمكن القول أن سكان المدينة مسالمون لا يحملون معهم أي سيوف وأي أسلحة أخرى لحماية أنفسهم ولكنهم يحملون معهم فقط العصا التي يتوكأ ون عليها في سيرهم أو يرفعونها للتحية فيما بينهم وليس لديهم حراس أو إتباع[6].

ويتصف أهل تنبكت بالطيبة والأمانة والاحترام وهم يعملون في شتى المجالات الصناعية والتجارية وغيرها،إلى جانب عدم تعصبهم طائفيا وهم غير متطرفين وقد أعطاهم الإسلام قوة الشخصية[7]هذا إلى جانب أنهم محبون لأعمالهم ويتقنون العمل،وهذا سبب حبهم لدينهم وحفظهم القران الكريم،وكان الواحد منهم في بعض الأحياء يعاقب أبناءه بالقيد في أرجلهم وأيديهم إذ أهملوا حفظ القران الكريم[8].

---

(1)عبد الرحمان السعدي،المصدر السابق،ص 23.
(2)محمود كعت،المصدر السابق،ص 23.
(3)عبد القادر زبادية،مملكة سنغاي...،المرجع السابق،ص 102.
(4)بقيت هذه التسمية واصلها مجهول لحد اليوم،لكنها حسب الروايات الشفهية تعني مجموعة من الأفخاذ توحدوا تحت تسمية البرابيش،وأفاد بول مارتي في كتابه البرابيش بنو حسان أن البرابيش ينتسبون إلى ثلاث فئات هي:الأولى مجموعة عربية مغربية طارقيه والثانية والثالثة عربيتان(حسان أولاد حم،وحسان أولاد رزق)لهم انتشار واسع بالسودان الغربي منها في ولاتة،اروان،تنبكت،بوري،سوبني،غاو،قرى من بوركينافاسو ،السنغال والتشاد..انظر المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 250-251.
(5)عبد الحميد جنيدي،مجلة كان،العدد 16 ،المرجع السابق،ص 113.
(6)محمود كعت،المصدر السابق،ص 180.
(7)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 545.
(8)ابن بطوطة عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي:**تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلته)**،ط01،النار البيضاء،المغرب،2006،ص 450.

فأهل تنبكت مهرة في شتى الميادين ومختلف المهن والوظائف،فكان منهم التجار،الأدباء،القضاة وتجار الكتب وناسخيها وأصحاب المكتبات،وكانوا إلى جانب ذلك على قدر كبير من الثراء المادي بالإضافة إلى الثراء العلمي والثقافة الإسلامية[1] .

فمن شدة حبهم لدينهم وتعلقهم به أنهم كانوا يهرعون لأداء الصلاة في مواقيتها ويتركون أعمالهم لأقامه شعائر الجماعة وصلاة الجمعة التي يبكرون فيها بالذهاب إلى المسجد،حيث كانوا يرسلون خدمهم بالمصليات إلى المسجد حتى يحين وقت الصلاة وذلك بسبب شدة الازدحام بين المصليين،وكانوا يتحلون بأجمل الثياب البيضاء الواسعة وإذا لم يكن عند الإنسان منهم إلا ثوب واحد غسله وذهب به إلى الصلاة خاصة يوم الجمعة ذو المنزلة العالية والأثر الجميل في نفوسهم[2].

كان الجميع يلبسون الزى الموحد للبلاد في انسجام كبير فيما بينهم كما يلبسون العمامة البيضاء،أما العمامة الزرقاء من القماش الداكن فكان يلبسها المغاربة الموجودون بالمدينة[3]

أما النساء فغالبا ما يرتدون الثوب الأبيض،وكانت الزينة تتخذ من النحاس وهناك من النسوة من تضعن سوار من الفضة في أيديهم وحلقات من الحديد والفضة في أرجلهن،أما النسوة الثريات فلهن بعض المجوهرات من الذهب كأقراط الأذنين والخهرمان والشعر المظفر،بينما تتبسط نساء رجال الدين في ملابسهن وغالبا ما يتخذون من الحجاب أو الخمار،والنساء يتركن الذهب والعنبر قبل الذهاب إلى السوق وعند جلب الماء[4].

أما بالنسبة للأحذية فالشكل العام لها هو الحذاء العربي من نوع الخف مصنوع من الجلد الأصفر بالنسبة للرجال،والأحمر بالنسبة للنساء وأحذية أخرى مزينة بالحرير،ونعل رقيق،أما الأثرياء فيلبسون الأحذية الكبيرة "BOUTE " الحمراء والصفراء،وعدد من السكان يلبسون أحذية بنعل من جلد البقر[5]،وقد فطر أهل تنبكت على المرح وتعودوا على على التجول في المدينة ما بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا،وهم يعزفون على

(1)حسن الوزان، ج02،المصدر السابق،ص 41.
(2)عبد الرحمان السعدي،المصدر السابق،ص 31.

(3)DUBOIS,F.AP,CIT.226.

(4)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكتو...،المرجع السابق،ص 30.
(5)عبد الحميد جنيدي،مجلة كان،المرجع السابق،ص 114.

آلات الطرب ويرقصون،ولأهل المدينة عدد كثير من الرقيق ذكورا وإناثا يعملون في خدمتهم[1].

أما بالنسبة لعدد السكان فقد تضاربت الآراء في تقديرهم بمدينة تنبكت وقد جرى إحصاء لمنازلها خاصة تلك المهدمة وقدر عدد سكانها على هذا الأساس مائة ألف نسمة تقريبا ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه[2]،فعندما زار هنري بارث تنبكت بعد الغزو المغربي أفاد أن عدد السكان كان تقديره يزيد عن خمسة آلاف(5000) أحيانا،وفي المناسبات يزيدون إلى عشرة آلاف(10000) ويصلون في بعض الأحيان إلى ثلاثة عشر ألف(13000) نسمة[3].

أما الرحالة لانز(LANZ)فقد قدر عدد سكان تنبكت بحوالي عشرين ألف نسمة(20000ن)أما كايي أعطى رقما مخالفا فقال أن عدد سكان تنبكت يمثلون اثني عشر ألف نسمة(12000ن)،أما المؤرخ مولي ففي إحصائه للمساكن بالإضافة إلى بعض المعلومات التاريخية التي حصل عليها من مقابلات له مع السكان في مدينة تنبكت حيث يقول أن عدد السكان ناهز المائة ألف نسمة(100000ن)[4].

ففي عهد الاسكيا داود[5] قدر الباحث سينكي مودي سوكو عدد سكان المدينة في ذروة ذروة مجدها بحوالي ثمانين ألف نسمة(80000ن)[6]،أما الباحث عمار هلال فقدر عدد سكان المدينة في عهد الاسقيين بما يقارب 30.0000 نسمة[7].

---

(1)عبد الرحمان السعدي،المصدر السابق،ص 67.
(2) نفسه،ص 126.
(3)Barth,h,TRAVELS AND DIS CORERIES IN NORTH AND CENTRAL,vol 03,london,1859,p 325-326.
(4)احمد فتوح عابدين،المرجع السابق،ص 127.
(5)حكم اسكيا داود عرش سنغاي 33 عاما و هو ابرز سلاطين من آل سنغاي بحنكته السياسية...انظر عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السابق،ص 45.
(6)سينكي مودي سوكو،**الصنغي من القرن 12م إلى القرن 16م**،**تاريخ إفريقيا العام**،اليونسكو ،1988م،المطبعة الكاثوليكية، ج04،ص 217.
(7)عمار هلال،**الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**،مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث،د-ت،ص 76.

*ثانيا:تطور المدينة:*

شهدت مدينة تنبكت مجموعة من التطورات خاصة على الصعيد العمراني والسياسي.

*1-التطور العمراني:*

فبالنسبة للعمارة فلقد كانت في أول الحال مساكن الناس عبارة عن زريبات الأشواك وبيوت الاخشاش إلى الصناصن،ثم تحولوا إلى بناء الحيوط أسوارا قصارا جدا،بحيث من وقف خارجها يرى ما بداخلها،وتكاملت المباني بعد مدة وبنيت حولها الأسوار التي تحيط بالمنازل والتي تعمل على حمايتها وأقيمت حولها الحدائق وزرعت الأشجار،وذلك في أواسط القرن السادس عشر ميلادي في مدة اسكيا داوود بن الأمير اسكيا الحاج محمد[1].

أما حسن الوزان يقول عن مساكن تنبكت بعد أن زارها في أوائل القرن السادس عشر الميلادي،فبيوت تنبكت هي أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين مع سقوف القش في وسط المدينة الجامع[2] المبني بحجارة منحوتة مع طين الكلس على يد مهندس من الأندلس كما أن هناك قصرا كبيرا بناء المهندس نفسه حيث يسكن الملك[3]ربما يقصد هنا بقصر مادقو(MADOUGO)

حيث شيد هذا القصر على يد شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي[4]،وقد وصف المؤرخ دبيه ا مدينة تنبكت بعد أن زارها حوالي عام 1853م،بأنها في مظهرها الخارجي كانت مدينة مستطيلة الشكل ذات عمق للداخل،لكنه عاد فوصف منازلها بأنها مربعة الشكل حتى توحي بالعظمة بالرغم من بدائيتها[5].

---

(1)هو سراكولي الأصل وكان أجداده قد هاجروا من الجنوب الموريتاني الحالي...وسكنت حول التيجر الأوسط وامتزجت في قبيلة سنغاي،أصبح الاسكيا محمد احد الضباط البارزين في جيش الأمير سني علي وقام بثورة ضد بني علي،واستولى على عرش صنغاي...محمد بن عبد الكريم المغيلي،**اسئلة الاسكية وأجوبة المغيلي**،تح.عبد القادر زبادية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1974م،ص 36.

(2)هو ما تقام فيه صلاة الجمعة بجانب تلقي العلم والدراسة وهو بمثابة مكان يجمع الدين والدنيا معا...انظر محمود كعت،المصدر السابق،ص 121.

(3)حسن الوزان،المصدر السابق،ص 121.

(4)هو أبو عبد الله الساحلي احد شعراء غرناطة،وكان معماريا قدم التقى في موسم الحج بالسلطان موسى الأول فاستقدمه معه إلى السودان الغربي حوالي 1326م،وقد بني في تنبكت جامعا وقصرا للملك،كما بني في عاصمة مملكة مالي (يني)تذاك قصرا آخر،ويقال انه منذ ذلك الوقت اخذ الأسلوب المغربي الأندلسي في فن البناء ينتشر بغرب السودان..انظر عبد القادر زبادية،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 65.

(5)Dubois,f,op,cit,p210-211.

وقد أحيطت المدينة بسور كبير يحميها من غارات المغربيين عليها وقطاع الطرق،حيث أن هذا السور يغلق أبوابه بعد صلاة المغرب فلا يسمح حراسه لأي احد بالدخول للمدينة بعد هذا الوقت[1]ويصف الباحث جيمس غراي جاكسون هذا السور بأنه عظيم وقوي،بما فيه الكفاية لحماية المدينة من الغارات،حيث يصل طوله إلى اثني عشر قدما(3.96م)وبه ثلاثة أبواب،الباب الأول هو باب الصحراء،وموقعه شمال المدينة وهو يؤدي إلى الصحراء الكبرى،والباب الثاني وهو باب النيل ويقصد بالنيل نهر النيجر،ويقع جنوب المدينة وهو يؤدي إلى نهر النيجر،أما الباب الثالث فهو باب القبلة الواقع شرق المدينة وهذه الأبواب تغلق كل مساء بعد غروب الشمس بفترة وجيزة،وهي مصنوعة من الأخشاب ومبطنة بجلود الإبل[2]هذا السور حطمته قبائل الفولان[3]عند غزوهم المدينة عام1242هـ/1826م[4].

كما كان لهم اهتمام كبير بشق الطرق وتأمينها بالحراس وحفر الآبار[5]وقد انتعشت الحركة العمرانية في مدينة تنبكت في مالي[6]

وسنغي[7]إلا أن سقطت في يد المغاربة في أواخر القرن السادس عشر ميلادي وكان لملوك مالي وسنغي التي دانت لهم تنبكت بالتبعية،الفضل في إدخال الفن المعماري

---

(1)محمود كعت،المصدر السابق،ص 115.

(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت**،،المرجع السابق،ص 33.

(3)تقطن هاته القبائل التي تعرف بالفولاني،أو الفلانا في المنطقة الواقعة في أعالي النيجر وحتى نهر السنغال والفولاني أما رعاة مسالمون متنقلون،وإما مستقرون بين شعوب غريبة عنهم بحيث يميلون للطبقة الحاكمة ذات النفوذ والجاه بخاصة في نيجيريا الشمالية..انظر فيج دي جي،المرجع السابق،ص 30.

(4)مازي بيرنبام،**مدينة تنبوكتو في أواخر القرن التاسع عشر**،**مجلة البحوث التاريخية**،العدد 01،بنغازي،1989،ص 99.

(5)السعدي،المصدر السابق،ص 21.

(6)تأسست مملكة مالي على أنقاض إمبراطورية غانا عام (636-653هـ)(1238-1255م)على يد قبائل الماندوجو بقيادة سندياتاكيتا الذي هزم قبائل الصوصو في معركة كيرينا،أشهر ملوكها منسى موسى سقطت على يد الملك سني علي عام 166م..انظر مولاي احمد بابير الاروائي،المصدر السابق،ص 54.

(7)نسبة إلى قبيلة سنغاى كانت تسكن النيجر في حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد،ثم أخذت تنتقل إلى غابة الشمال مع النيجر،وفي القرن 07م امتدت مسكنها حول النيجر بحوالي 16كم،وبدا شعبها ينتظم إلى غاية تأسيس إمبراطورية سنغاي في القرن السادس عشر ميلادي،أما اليوم فان السنغانيون يبلغ تعدادهم حوالي 65000نسمة يتوزعون في المناطق المحيطة بغاو،وأقليات بتنبكت وجني شمال انداهوسي...انظر عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي**...،المرجع السابق،ص 25.

والهندسة العربية والمغربية والبناء الحديث في تنبكت خاصة وبلاد السودان[1]الغربي عامة[2].

فقد أشار الرحالة الغربيون للازدهار الذي أصاب تنبكت والتقدم الذي كانت عليه فدبوا مثلا يصف منازلها بأنها منظمة جدا ومقامة على طرق حديثة جدا[3]أما هنري بارث فيقول عن منازلها أنها مختلفة الشكل والأحجام،فبعضها من الطين منخفضة وبعضها محاط بأكواخ قش وشوارعها ضيقة[4].

أما رينيه كاليه فقد وصف شوارعها بأنها واسعة،ويصف بارث المنزل الذي سكن فيه إذ يقول:"...منزل يشرف على منظر جميل للجوانب الشمالية للمدينة،وكان يرى من منزله جامع سنكوري،يقول الذي يعد من أهم مساجدها وجوامعها..."[5].

وها ذا حسن الوزان يصف لنا الطريقة التي بني بها مسجد جنجور بر الذي بناه المهندس الغرناطي الطويجن فيقول:"...وقد بني من الحجارة التي جلبها العمال من الجبال وقد ثبت بالطين،وكان قد بني بطريقة حديثة ابتكرها ذلك المهندس لأول مرة في بلاد السودان غير التي كانت سائدة وهي تعتمد على الفن المغربي الذي تميزت به القبة المرتفعة المربعة المزخرفة..."[6]وقد أصبحت مدينة تنبكت الحاضرة الثقافية للسودان العربي بسبب تلك الذروه التي أحدثها المهندسون المعمارية في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي والذين برعوا في هندسة دور العبادة وتلوينها وتصميمها وتجهيزها لإقامة شعائر الصلاة[7]

كما انتشرت بها المباني الفخمة من قصور ونحوها،لأثرياء القوم والأمراء وتنافس الجميع في تزيين هذه القصور بالذهب والفضة،واجتهد المهندسون في إظهار هذا التراث

---

(1)تعني بلاد السود أي الجنس الأسود ويقابله بلاد البيضان ويقصد بها شمال افريقية المغرب والصحراء وبلاد السودان مصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الأقاليم شبه الصحراوية في افريقية شمال نطاق الغابات الاستوائية والتي انتشر فيها الإسلام والواقعة جنوب الصحراء الكبرى..انظر نبيلة حسن محمد،**في تاريخ إفريقيا الإسلامية**،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2009م،ص 27-28.

(2)السعدي،المصدر السابق،ص 21-22.

(1)Dubois ,f,op,cit,p 235.

(4)احمد فتوح احمد عابدين،المرجع السابق،ص 119.

(5)عبد الحميد جنيدي،مجلة كان،ص 115.

(6)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 540.

(7)احمد فتوح احمد عابدين،المرجع السابق،ص 120.

في أجمل صورة،لتكون مرآة تعكس هذه الحضارة الإسلامية،التي اشتهرت بها مدينة تنبكت وباقي مدن السودان الغربي ومن أشهر القصور القصر الذي ابتناه نائب السلطان في دولة مالي،خلال القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي وكان يطلق عليه(مع دلة) أي دار السلطان[1]،كما أورد حسن الوزان أن الاسكيين شيدوا قصرا[2]خاصا بهم حيث كل ما شاهده وصفه بالروعة والأبهة،وقد زين بالذهب والصور والزخارف،التي جعلته يشبه التحف البديعة التي أظهرت الفن والعمارة المغربية الأندلسية،والتي تمثلت في المساجد كما سبق ذكره والقصور[3].

لقد أشار دييوا بما شهده من فن معماري في تنبكت بقوله:"...أن أهم ما لفت نظري في مساكن تنبكت،هو أن بها منازل لها دور ثاني واهم من ذلك كله ضخامة الأبواب المزدانة بمسامير كبيرة الحجم،وهذا في حد ذاته يوحي بما وصلوا إليه من ذوق رفيع في صناعة الأبواب..."[4]،وانقسمت المساكن أيضا إلى قسمين قسم خاص بكبار التجار وهو يختلف عن مساكن العامة بقبابها العالية ومساحتها الكبيرة وأثاثها من الوسائد الحريرية والمفروشات الجميلة،وهي مملوءة بالبضائع وحجراتها منفصلة ونظيفة وبها صحن الدار الذي يوصل إلى سلم صغير يرتفع إلى السطح وفي وسط المدينة،منازل مصنوعة من الخوص حيث لا يوجد مثله إطلاقا في مصر ولا في السودان،وقد لعب الملح دورا هاما في البناء والتشييد[5] فبعد ان كان يستعمل الأحجار كطوب اللبن،صارت ألواح الملح تشبه تشبه ألواح الرخام في صلابتها وبريقها،حيث استخدمت ألواح الملح كمواد للبناء فبنيت الأبنية في تنبكت والعمارات والقصور من ألواح الملح الضخمة الكبيرة،حيث كان من كبر حجمها لا يستطيع حمل لوح واحد،بالإضافة إلى أن الجمل لا يحمل أكثر من لوحين فقط من هذا المعدن[6].

(1)السعدي،المصدر السابق،ص 27-28.
(2)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 165.
(3)عمار هلال،المرجع السابق،ص 47.
(4)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 105.
(5)ابن بطوطة،المصدر السابق،ص 446.
(6) نفسه،ص 416.

وقد وصف لنا الباحث هاسكوارد احد مباني تنبكت حيث يقول:"...يعلق في الباب حلقة من حديد...وتوجد أول غرفة التي يقال سيفا(SIFA)لاستقبال الضيوف ثم يوجد بهو محاط بغرف خاصة بالبناء،وفي الطابق الثاني توجد غرف قد يصل عددها اثنين أو ثلاث،وهناك غرفة مجتمعة لاستقبال الأصدقاء والأشخاص المميزين...لكن لا يمكن الاعتقاد أن كل المنازل تحتوي على هذه الطوابق،ولا توجد المباني ذات ثلاث طوابق إلى جانب أن هناك أكواخ القش،التي يسكنها العبيد والفقراء وليست غالبا مبنية من خيام الجلد،وان وجدت فهي ذات شكل دائري تقريبا وهي منخفضة جدا،أما الأثاث فيتكون من أواني الطبخ والأطباق تصنع من الخشب،وهناك صناديق توضع فيها الألبسة والأشياء الثمينة،السرير من القش يرتكز على أربعة أرجل يضعون عليه الحصائر أو جلود البقر[1].

أما الأثرياء فيفرشون أسرتهم بالأفرشة القطنية أو الصوفية،أو المصنوعة من جلود الجمال وبعض الأغطية موضوعة على حصيرة،وهناك وسائد وحصائر وأغطية مصنوعة من الصوف وهي ذات ألوان متعددة[2]،وكان يوجد بها سوق كبيرة جدا[3]تسمى سوق يو بو –بار(YOBOU-BER)[4] أصبح يضج بالباعة والتجار من جميع الأجناس،كما يوجد بها الكثير من دكاكين الصناع ولاسيما حياكة قماش القطن[5].

أما بالنسبة للمباني المهدمة والمبنية فقد وقع اختلاف حولها من طرف المؤرخين حيث عندما زار هنري بارث تنبكت بعد الغزو المغربي أفاد بان عدد بيوتها كان حوالي تسعمائة وثمانون(980) منزلا من الطين ومائتي(200)كوخ صغير من منازل الفقراء التي ليست لها مساحات أو حجرات[6]،أما الرحالة لانز(LANZ)قد قدر عدد البيوت بثلاثة ألاف وخمسين(3050) بيتا[7].

---

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكتو...**،المرجع السابق،ص 35.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مجلة كان**،المرجع السابق،ص 115.
(3)الحسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 540.
(4)ساري برنيام،المرجع السابق،ص 98.
(5)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 540.
(6)BARTH ,hop,cit,p 325-326.
(7)احمد فتوح،المصدر السابق،ص 127.

كما لدينا إحصائيات موثوق بها أخذت في عهد اسكيا محمد الذي حكم سنغي من عام 799-935هـ/1493-1528م،حيث أمر بان تعمل إحصائيات ميدانية لمدينة تنبكت فاجري إحصاء لسكانها ومساكنها،وحدث ذلك لأول مرة مدونا على الأوراق الرسمية وقد بدؤوا بالقصور الكبيرة والبنايات الفخمة وظلوا مدة ثلاثة أيام متتالية يحصونها ويسمونها بأسماء أصحابها،ويمسكون بزمامها وأركانها في كل حي فيها حتى وجدوا عددها قد صار سبعة آلاف وستمائة وستة وعشرين(7626) منزلا كبيرا مجهزا،هذا بخلاف البيوت المتواضعة التي بنيت من القش وأغصان الأشجار التي يسكنها الفقراء أو العامة من الناس،هذا فضلا عن ستة وعشرون(26)بيتا من بيوت الخياطين[1].

أما الباحث جيمس غراي،أفاد أن عدد المنازل في مدينة تنبكت في أواخر القرن الثامن عشر حوالي ألف وثمانمائة(1800)منزلا[2]،ويقول عبد الرحمان السعدي:"... إن مدينة تنبكت كثيرا ما تتعرض لخطر الحريق،فقد احترق نصفها في ظرف خمس ساعة أثناء إقامتي بها في رحلتي الثانية،حيث كانت الريح عاتية،وبدأ سكان النصف الآخر للمدينة ينقلون أثاثهم خشية أن يخترق النصف الآخر[3].

*2-التطور السياسي:*

بعد أن تطرقنا إلى التطور العمراني لمدينة تنبكت،يجب التحدث عن التطور السياسي الذي عرفته المدينة،حيث حكمها العديد من القوى السياسية كل قوة تميزت عن الأخرى في حكمها،فأول من ابتدأ فيه الملك في تنبكت هم أهل مالي ودولتهم فيه مائة (100)عام،وتاريخها من عام سبعة وثلاثين في القرن الثامن أي (737-837)هـ،ثم توارق مغشرن ودولتهم أربعون(40)عاما وتاريخه من عام سبعة وثلاثين في القرن

(1)محمود كعت،المصدر السابق،ص 146-170.
(2)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 35.
(3)السعدي،المصدر السابق،ص 67.

التاسع(837)هـ،ثم مني علي[1]وتاريخه من عام ثلاثة وسبعين في القرن التاسع ومدة ملكه فيه أربعة وعشرين(24)سنة[2].

ثم حكمها الحاج اسكيا وأتباعه من تاريخ رابع عشر جمادى الآخر في العام الثامن والتسعين من القرن التاسع إلى آخر سابع عشر من جمادى الآخر في العام التاسع والتسعين في القرن العاشر،أي (898-999)هـ،ثم حكمها من بعده القائد جودر قائد السلطان المنصور الذهبي،من سابع عشر من جمادى الأخر في العام التاسع والتسعين من القرن العاشر(999هـ)،واستمر بشوات المغرب في حكمها حتى القرن الحادي عشر[3].

***أ-تنبكت في عهد مملكة مالي(737-837هـ)(1337-1434م):***

أول حكام المدينة هم طوارق مغشرن كما سبق ذكره،ثم ملكها ملك مالي منسا موسى[4]وكان ذلك في أواسط القرن الثامن هجري الثالث عشر الميلادي[5].

فعبد الرحمان السعدي يقول عن منسا موسى:"..طرق تنبكت فملكها وهو أول الملوك الذين حكموا تنبكت وجعل خليفة فيها وابتنى دار السلطنة،فسميت (مع دك)،معناها في كلامهم دار السلطان والموقع معروفة الآن وصارت مجزرة للجزارين[6].

وهو أول من ادخل إليها نظام السلطنة وشيد بها دار الحاكم حيث استمر حكمه مائة(100)عام[7]،عندما قرر منسى موسى القيام بفريضة الحج عام (724هـ/1324م)،انطلق من هذه المدينة الشهيرة وذلك تكريما لها والرغبة منه على إشهارها[8].

---

(1)ينتسب إلى عائلة ضياء ،وهو عامل مملكة سنغاي،تولى مقاليد الحكم فيها سنة 869ه/464 إم،ويعتبر هو المؤسس الحقيقي لها من خلال إدخالها في طور الإمبراطورية،حيث عمل على تنظيمها إداريا،والرقي بها اقتصاديا وفكريا...انظر مولاي احمد بابير الاروائي،المصدر السابق،ص 61.

(2)السعدي،المصدر السابق،ص 22.

(3)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 103.

(4)اختلف عدد من المؤرخين في اسمه فمنهم من أطلق عليه موسى بن أبي بكر الأسود،ومنهم من أطلق عليه موسى بن أبي بكر ،وهناك من سماه منسى بن أبي بكر...واشتهر باسم منسى موسى أو كنكنه موسى،ومنسا في لغة الزنج تعني ملك،وموسى اسمه أما لقبه كنكنة موسى فكنكنة اسم أمه،وهو ما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن إلى أمه...الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 56.

(5)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري...،المرجع السابق،ص 102.

(6)السعدي،المصدر السابق،ص 08.

(7)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 102.

(8)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 106.

تعتبر قافلة الحج التي أوفدت إلى مصر بصحبة السلطان منسا موسى من أروع مظاهر ثراء هذا العامل الإفريقي،وكان ذلك في العام السابع عشر(17) من حكمه 1434م،وقد رافق السلطان حشد كبير من الوزراء والعلماء والأتباع حيث قدر بعض المؤرخين عددهم بحوالي اثني عشر ألف(12000)شخص[1] ويذكر ابن خلدون انه اعد لنفقته من بلاده مائة حمل من التبر،وفي كل حملة ثلاثة قناطير،وذكر ترجمان التكرور بالقاهرة أن السلطان عاد من بلده بثمانين حملا من التبر وكل حمل ثلاثة قناطير[2]،وفي أثناء إقامة السلطان منسى موسى بمكة اتصل به المهندس الغرناطي السابق ذكره،قبل أن يلتحق بخدمة السلطان[3]وعند عودة السلطان منسى موسى من الحج استقدمه معه إلى السودان الغربي حوالي 1326م[4]حيث شيد المهندس الغرناطي للسلطان كنكان موسى قصرا كما شيد له أيضا مسجد دنقريز عام 1326م[5] ليكون ملتقى علماء المدينة وأئمتها ولباقي علماء المنطقة[6] فانتقل إليها علماء ولاتة واستقروا بها فتوسع عمرانها وكثر سكانها،وتوسعت حرفها الصناعية[7].

يقول عبد الرحمان السعدي:'...وكان لملوك مالي وسنغي التي دانت لهم تنبكت بالتبعية الفضل في إدخال الفن المعماري والهندسة العربية والمغربية والبناء الحديث في تنبكت خاصة والسودان الغربي عامة..."[8] حيث بلغت مدينتا جني[9] وتنبكت درجة عالية من التطور الفكري والثقافي والعمراني على عهد مملكة مالي[10].

---

(1).عبد الرحمان زكي،**تاريخ الدولة الإسلامية السودانية**،المؤسسة العربية الحديثة،1961م،ص 106.
(2)جلال يحي،**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،ط01،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،مصر،1999م،ص 38.
(3)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 109.
(4)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 65.
(5)يحي بوعزيز،**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص 157.
(6)عبد الحميد جنيدي،**مجلة كان**،المرجع السابق،ص 115.
(7)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 157.
(8)السعدي،المصدر السابق،ص 29.
(9)تقع هاته المدينة إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت وتبعد عنها بحوالي تسعمائة كيلومتر تقريبا،وقد أسست في منتصف القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة حوالي ستة ثمانمائة ميلادي ...انظر عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية**،المرجع السابق،ص 103.وانظر أيضا السعدي،المصدر السابق،ص 11.
(10)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 29.

وكفأ السلطان منسى موسى المهندس الغرناطي على عمله بمبلغ خمسة وستين ألف(65) جنيه[1]أما عبد الرحمان بن خلدون فيقول أن السلطان كافأه باثني عشرة ألفا(12.000) مثقال[2]من التبر،كما اصطحب السلطان منسى موسى إضافة إلى الساحلي عددا من رجال الدين والتجار[3]من بينهم الفقيه عبد الرحمان التميمي الذي أقام بتنبكت زمنا قبل أن يغادرها كما روى السعدي[4].

وبعد وفاة منسى موسى بعد 25 سنة من حكمه[5]عادت القبائل تحن إلى نظمها وأساليب وأساليب حياتها القبلية الأصلية،حيث نهض شعب الموسى[6]،في بانتانجا في إقليم فولتا العلوي يغير على مالي،ثم تدفقت غاراته الوحشية إلى تنبكت واصطدموا بحامياتها وحرقوا دورها وكان ذلك في عهد ابنه[7]منسا ميغا ومعناها عندهم محمد الذي ولي أمر مالي من بعد أبيه منسا موسى،لكن هذا الأخير ملك أربع(04)سنين من ولايته،وولي أمرهم من بعده منسا سليمان ابن أبي بكر وهو منسا موسى،واتصلت أيامه أربعا وعشرين(24)سنة[8].

وقد زار الرحالة المغربي ابن بطوطة بلاد مالي عام 1353م،ودخل بلاد السلطان منسا سليمان،واتصل بأمراء دولته وفقهائها،وأشاد بكرم منسا موسى وندد ببخل أخيه وخليفته من بعده منسا سليمان الذي قصر في ضيافته وشح في هداياه إليه مما اضطر السلطان أن يستدرك الأمر وأمر بتكريمه[9].

---

(1)ادم عبد الله الالوري،**موجز تاريخ نيجيريا**،منشورات الحياة،بيروت،1965م،ص 156.
(2)وهي تساوي 19 فرنكا في تنبكتو،يحيى بوعزيز،المرجع السابق،ص 45.
(3)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 28.
(4)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 221.
(5)القلقشندي،ج05،المصدر السابق،ص 285
(6)تتصل قبائل الموسى بمملكة سنغاي فهم زراعيون يزرعون الدرة الرفيعة،و لا يملكون من الماشية إلا قطعانا قليلة ويربون الخيول والحمير بكثرة،وهم وثنيون يقدسون الأسلاف وعبادة الشمس والقمر،هذه القبائل معروفة عند البعض وغامضة عند البعض الأخر...انظر فيج دي جي ،المرجع السابق،ص 64.
(7)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 111.
(8)عبد الرحمان بن خلدون،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،07ج،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1983م،ج06،ص 268.
(9)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 29.

بني منسا موسى الجوامع والمساجد وجلب الفقهاء من مذهب مالك(رضي الله عنه)[1] ولما هلك تولي من بعده ابنه منسا بن سليمان وهلك من بعد تسع(09) سنوات من ولايته[2]،زار الرحالة المغربي ابن بطوطة الشهير مدينة تنبكت سنة 753هـ/332م،برفقة 753هـ/332م،برفقة جماعة من تجار سجلماسة[3]وذكر أن أهلها كانوا مسلمين وكانت قبيلة من مسوفة سيدة القبائل فيها[4]ولم يذكر لنا الرحالة شيئا كثيرا عن تنبكت سوى انه شاهد قبر الشاعر والمهندس الغرناطي الذي سبق ذكره[5].

وهكذا دخلت دولة مالي دور الضعف بعد وفاة منسا موسى واستولى الطوارق على مدن أروان،ولاتة وتنبكت[6].

***2-تنبكت في عهد طوارق مغشرن(837-873)هـ(1434-1463)م:***

في أخر دولة مالي أخذ طوارق مغشرن يغيرون عليهم ويفسدون في الأرض من كل جهة ومكان،مما أدى إلى إيذائهم حيث لم يستطيعوا أن يقفوا ويقاتلوا هؤلاء الطوارق فسلموا في تنبكت ورجعوا إلى مالي[7]حيث سيطر عليها التو ارق للمرة الثانية[8]بحجة أنهم أول من أسسها[9]حيث شهدت المدينة حالة من التخريب في فترة حكمهم لها[10]غير أن المؤرخ الانجليزي برمنجهام يرى أن الطوارق احتلوا المدينة دون أي مقاومة تذكر،وفرضوا سيطرتهم عليها[11]وأثناء حكم الطوارق لمدينة تنبكت ساد العدل والأمان،كما أن قوافل التجارة القادمة منها المتوجهة إليها من شمال إفريقيا عرفت هي

---

(1)القلقشندي،ج05،المرجع السابق،ص 285.
(2)عبد الرحمان بن خلدون،ج06،المصدر السابق،ص 268.
(3)يمتد إقليم سجلماسة على مسافة عشرين ميلا على نهر زيز من شمال إلى الجنوب،يشمل ما يقارب 300 قصر كبير وصغير ولما فتح المسلمون إفريقيا خضعت سجلماسة لملوك زناتة إلى أن طردهم يوسف،وكانت سجلماسة متحضرة جدا وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع السودان...انظر فيج دي جي،المرجع السابق،ص 122.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 38.
(5)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 122.
(6)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 33.
(7)السعدي،المصدر السابق،ص 09.
(8)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 103.
(9)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 89.

(5)BARTH,h,op,cit,p235.

(11)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 39.

الأخرى نوع من الأمان،حيث اشتهر حاكمها في تلك الفترة عقيل أغ ملوك باحترامه للعلماء،حيث وفر لهم الجو المناسب لمواصلة عملهم على أحسن وجه[1].

وبعد ذلك تركها سكانها من التو ارق بزعامة عقيل اجموال مهيمين أطراف الصحراء الطلقة[2]أما هم فلا يسكنوها بل يسكنون البراري لأنهم أهل بادية[3]وخلفوها تحت رعاية زعيمها الصنهاجي محمد نادي،الذي كان يشرف على إدارتها منذ أيام مالي،وكان هذا الحاكم يجمع الضرائب ويحتفظ بثلثها،أما ثلثها فكان يبعثه لعقيل اجموال وبعد موت محمد نادي،خلفه ابنه عمر،فاستمر على عادة أبيه في علاقته بالطوارق،حتى فاجأه عقيل الذي صمم على جمع الضرائب بنفسه،وبدا رجاله يعبثون في دور الأهالي ويعتدون على النساء حيث سادت الفوضى،الأمر الذي ولد الحقد في نفس عمر ضد عقيل،فأرسل رسالة سرية إلى سني علي ملك صنغاي،في جاو فحشد جيشا كبيرا وقاده إلى تنبكت ولما اقترب منها وضح حقيقة الموقف أمام عقيل وعمر،حيث ندم الثاني لما سببه بنفسه ورأى انه كان داعية لسني علي على غزو البلاد فانظم إلى قوات عقيل الفارة ولاذا الاثنان بالفرار متجهين إلى ولاتة،واخذوا معهما حشدا كبيرا من العلماء ورجال الدين الذين كانوا يعملون في سنكورة[4].

### *3-تنبكت في عهد سني علي(873-898)هـ(1468-1492)م:*

استجاب سني علي إلى طلب عمر كما سبق ذكره ودخل تنبكت عام 873هـ/1468م مابين رابع وخامس الفرد،أي بعد توليه بأربع أو خمس سنوات[5]حيث هجم على التو ارق ارق في تنبكت فتغلب عليهم[6]وسيطر على المدينة وعلى كل الجبال[7]وذبح جنوده آلاف الأهالي الذين اتهموا بصداقتهم للطوارق أعداء سنغاي،وكانوا ينتهزون الفرص دوما للاعتداء عليهم[8]،فسني علي مارس على المدينة وسكانها حكما إرهابيا،حيث بدأ عهده

---

(1)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 85-90.
(2)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 125.
(3)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 102.
(4)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 125.
(5)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي..، لمرجع السابق،ص 104.
(6)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 92.
(7)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 104.
(8)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 125.

بمطاردة علماء المدينة وشيوخها وسكانها[1]،حكم المدينة أربعة وعشرين(24)سنة[2]،وقد وصفه عبد الرحمان السعدي قائلا:"...كان ذا قوة عظيمة،ومتانة جسمية ظالما فاسقا،متعديا،متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق مالا يحصيه إلى الله تعالى،وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال[3].

أما محمود كعت فيقول على سني علي:"...انه كان فاجر وفاسق..."،حيث انه بعث برسوله إلى مدينة تنبكت ليأمر أهلها بالرحيل منها،حيث اخرج هذا الرسول سيفا وقال:"...هذا سيفه !من بات في المدينة هذه الليلة سأذبحه !"الأمر الذي أدى إلى رحيل الجميع،دون أن يحملوا متاعهم أو زادهم وما إن حل المغرب حتى خلت المدينة من كل احد[4]غير أن هناك من امتدحه من المؤرخين القدامى أمثال حسن الوزان،الذي قال عن سني علي انه كان رجلا عظيما[5].

(1)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 92.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 22.
(3)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 99.
(4)محمود كعت،المصدر السابق،ص 43.
(5)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 40.

# الفصل الثاني

## الأوضاع الاقتصادية لمدينة تنبكت

أولا : الفلاحة

ثانيا : الصناعة.

ثالثا : التجارة.

أ-السوق.

ب-المبادلات التجارية

1-الصادرات.

2-الواردات

جـ-الطرق التجارية.

د-نظم التعامل.

1-المقايضة.

2-الودع.

أولا: الفلاحة:

تمثل الزراعة الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل السودان الغربي،وذلك لوجود معظم الأقاليم المأهولة بالسكان في منطقة السافانا التي تتمتع بخصوبة التربة ووفرة المياه[1] والفلاحة في إمبراطورية سنغاي معاكسة للظروف المناخية السائدة،فالمناخ جاف عموما إلا انه هناك فصل ممطر يبدأ من شهر جوان وينتهي في شهر أكتوبر وكميات الأمطار التي تسقط لا تتجاوز 250ملم سنويا،وهذه الكميات تختلف من منطقة لأخرى فكمية الأمطار في مدينة تنبكت لا تتجاوز 200ملم سنويا،أما غاو فالكمية تصل إلى 300ملم سنويا،وتزيد كمياتها في جني إذ تتراوح مابين 500 و 800ملم سنويا،أما الأمطار الشتوية فهي لا تدوم إلا شهرين وغالبا ما يكون هناك جفاف[2].

وقد وظف عدد من حكام السودان الغربي في فترة إمبراطورية سنغاي هذه الإمكانيات الطبيعية بطريقة مثلى،حتى أصبحت تمثل العمود الفقري للاقتصاد الوطني وذلك بالرغم من قساوة الطبيعة وجفاف المناخ التي لا تساعد على قيام زراعة نشطة[3].

وقد ساهم عدد من حكام السودان الغربي،وفي طليعتهم أسكيا الحاج الكبير في تطوير الإنتاج الزراعي،حيث ادخل أساليب جديدة في عملية استصلاح الأراضي،تحسين الحبوب ودفع معدلات الإنتاج مستفيدا بعلاقات بلاده الوثيقة بالشمال الإفريقي[4]،حيث كانت تفرض ضرائب على المنتجات الزراعية من قبل حكام السودان الغربي،فقد كلف الاسكيا الحاج محمد رجل مخصص لجمع الضرائب،عن المحاصيل الزراعية وأعلى قيمة للضريبة ثلاثون فتا لا يتجاوزها،وتمنح الغرامة حسب الاستطاعة ولا تفرض،فمن المزارعين من يدفع عشر أفتات ومنهم من يعطي عشرين ...وهكذا إلا الثلاثين[5]هذه الضريبة فرضها على أتباع سني علي[6].

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 267.
(2)عبد الحميد جنيدي،مدينةتنبكت...،المرجع السبق،ص 45.
(3)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 267-268.
(4)عبد الحميد جنيدي،مدينةتنبكت...،المرجع السبق،ص 45.
(5)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 275.
(6)محمود كعت،المصدر السابق،ص 56.

فالاسكيا محمد الكبير حفر حفرة في تنبكت،وشجع الزراعة وانشأ العديد من القرى الزراعية[1]والزراعة في تنبكت تعتمد على مياه نهر النيجر،وقد ذكر كعت إن الزراعة في المدينة حباها الله بنهر النيجر،وقد ذكر عصمت أن الزراعة في تنبكت تعتمد على مياه الأمطار وما يوضح ذلك أن تنبكت في عام تسعة وتسعي ومائة 999هـ/1590م كانت مطيرة فقد طلب القاضي عمر أن يعطيه وأصحابه دار نظرا لهطول المطر،وان معه بارود السلطان فقد يهلك من المطر،أما نظام الزراعة الذي كان متبعا فهو نظام المزارع وهذا ما أفاد به موسى السعدي في قوله:"...توفي الإمام احمد بن الإمام الصديق،في مزرعة كريم وحمل إلى تنبكت وصلي عليه صلاة الجمعة،وكان ذلك في شهر رمضان عام 1005هـ/1596م،الأمر الذي يؤكد وجود المزارع..."[2].

ورغم الظروف المناخية القاسية عرفت أرياف مدينة تنبكت العديد من المحاصيل الزراعية المحلية،ويستعين المزارعون في المدينة بمياه نهر النيجر،ومن بين المزروعات الموجودة في تنبكت الأرز الذي يعد الغذاء الرئيسي للسكان،ويزرع على نطاق واسع ونظرا لما يتطلبه من سقي كثير فهو يزرع بصورة خاصة حول نهر النيجر وروافده،وزرعه يكون قبل فيضان النهر،ويبدأ موسم الحصاد في شهر نوفمبر وينتهي في ديسمبر،وهناك أنواع متعددة من ارز فهناك الأرز الأبيض،الأسود،الأرز الطويل والقصير وعموما يزرع في الأراضي الأقل فيضانا أو بعد انسحاب الفيضان[3]،وكذلك من المزروعات الموجودة في المدينة الفول الذي يزرع في شهر مارس وتتميز ثماره بقصر الحجم ولكنها مليئة بالحبيبات،وقد ينتج صغيرا ونوعا ما مسطح الحبوب،كما تنتج المدينة التبغ وهو من المحاصيل الأساسية وهو يزرع في الشرق خصوصا بامبا،وتستهلك المدينة اكبر جزءا والباقي يصدر إلى قرى الجنوب،وبالنسبة للحبوب تستهلك المدينة ما تحتاج والفائض من هذه الحبوب تخزن في مطامير يصل عمق الواحدة منها ستة أقدام(1.98م)[4].

---

(1)سينكي مودي سيوكو،المصدر السابق،ص 206.
(2)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 271.
(3)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 44-47.
(4)نفسه،ص 47.

كما عرفت المدينة نوع آخر من مخازن الحبوب التي يتم صنعها من الطين المخلوط بالتبن والملح،حيث يصل ارتفاع الواحدة منها إلى أربعة أمتار ولا تزال هذه المخازن تستعمل عند أهل السودان الغربي إلى يومنا هذا،كما صنعوا أيضا حوافظ للحبوب من جلود الحيوانات وسموها صينية[1].

ويوجد بالمدينة مزارع تنتج البطيخ،القرع وبعض الخضروات كاللفت،البصل،الطماطم والجزر،وتنتج مدينة تنبكت العديد من المحاصيل الزراعية إلا أنها لا تكفي حاجيات السكان لذا تلجا إلى استيراد الحبوب والخضر...الخ وهذا منذ القرن 10هـ/16م[2] والرحالة حسن الوزان الذي زار المدينة في أوائل القرن 10هـ/16م يرى نفس الاتوات تأتي من كابارا[3].

**ثانيا : الصناعة:**

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 48.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السبق،ص 48.
(3)تبعد عن مدينة تنبكت بحوالي 12 ميلا وهي عبارة عن مدينة كبيرة ليست جدارا..انظر حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 542.

عرفت مدينة تنبكت العديد من الصناعات والحرف اليدوية منها صناعة الذهب والفضة،حيث حضي معدن الذهب بالصناعة الفائقة من قبل حكام السودان الغربي وفي مقدمتهم السلطان اسكيا الحاج محمد الكبير،نظرا لأنه يمثل العمود الفقري لاقتصاد السودان الغربي وقد انتشرت صناعة الذهب خاصة في حي الغدامسية وحومة السوق ونحوها بمدينة تنبكت لان عقول سكانها راجحة في ذلك[1].

كما عرفت المدينة صناعة الحدادة،والحدادون يطلق عليهم اسم "ديام" أو "قاراسا" كما بكل السودان الغربي،هؤلاء يصنعون أدوات زراعية[2]مثل حدائد المحارث والفؤوس وأدوات الحرب كالخناجر،السيوف،الدروع،الخوذات،الرماح،حدائد الخيل،المطارق والإبر[3].

أما صناعة القوارب والسفن فهي من الصناعات التي برع فيها السكان فقد كانت زمن سني علي من أنشط الصناعات،وقد شجع هذا الأخير على صناعة السفن بأبدع الصناع فيها،وتنوعت أحجامها منها القوارب الصغيرة والكبيرة حيث استخدمها في حروبه التوسعية خاصة في هجومه على مدينة جني،كما استخدمها في السلم بنقل البضائع التي لا تنقل إلا في السفن[4].

وشهدت صناعة السفن نشاطا كبيرا في زمن الاسكيا الحاج محمد وخلفاءه،وازدهرت في فترة المغاربة،وخاصة في فترة جودر باشا[5]وكانت السفن تصنع من أشجار غليظة حيث تجد جردا وتفرغ من بقية الأغصان،ثم تخاط بطريقة انسيابية وهناك سفن يتفنن فيها الصناع من حيث الأناقة،وهي التي ينقل فيها السلطان[6].

(1)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 281-290.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السابق،ص 50.
(3)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 290.
(4)محمود كعت،المصدر السابق،ص 47.
(5)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 293.
(6)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السابق،ص 52.

من الحرف التي مارسها أهل تنبكت الخياطة والنسيج خاصة بعد وجود المواد الأولية لهذه الصناعة في البلاد،منها الصوف،الوبر والقطن وقد أكد حسن الوزان عن زيارته لسنغاي في عهد الاسكيا الحاج محمد الكبير في بداية القرن 10هـ/16م على انتشار دكاكين الخياطة في مجال القطن[1]،فقد ذكر كعت انه يوجد بها حوالي ستة وعشرين(26) بيتا من بيوت الخياطين وكلها من النوع المتخصص في تعليم مهنة الخياطة وكانت تسمى باللغة المحلية"تند' وكان كل بيت من بينها يتراوح عدد الطلبة فيه بين خمسين إلى سبعين طالبا،ويتولى التدريس في كل بيت من بينها معلمون متخصصون في تعليم تلك المهنة يدعى كل واحد منهم الشيخ الرئيس[2]هذا الرقم لم يكن نهائي لان الخياطة كانت تمارس بداخل المنازل من طرف النساء الأحرار وعبيدهم[3].

هؤلاء الخياطون لا يقتصر عملهم على الخياطة فقط بل عملوا على تطريز ألبسة الرجال والنساء بالحرير وبها رسومات رائعة،وذات مواصفات خاصة من حيث التصميم الفني واللون،هؤلاء الخياطون عادة ما يرافقون السلاطين عند خروجهم للحرب والسلم بهدف خياطة ملابس الجند[4].

ومن الصناعات التي كانت منتشرة أيضا في المنطقة صناعة الزرابي زمن دولة سنغاي التى تصنع من أصواف الأغنام،وشعر الماعز ووبر الإبل والتى تختص النساء دون غيرهن في ذلك،كما عرفت المنطقة صناعة الحصير التي تنسج من نبات يشبه الديس إلا انه أقوى منه وأكثر تماسكا،وزراعة الزرابي التي يبدو أنها انتقلت من الشمال الإفريقي فهي معروفة في المغرب وتونس وليبيا والجزائر منذ فترة مبكرة[5].

بالإضافة إلى الاسكافيون الذين يصنعون أنواع من الأحذية والوسائد والأكياس وعلب التعاويذ وأغماد السيوف...الخ،عملهم هو ابتكار في عدة أشكال رغم الوسائل البدائية التي يصنعونها والخياطون يخيطون مختلف القطع[6]،كما تطورت صناعة دبغ الجلود وكثر

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 289.
(2)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 69.
(5)محمود كعت،المصدر السابق،ص 180.
(4)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 49.
(5)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 291.
(6)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 50.

محترفيها،حيث تعددت الصناعات الجلدية فصنعوا القرب،الملابس،السروج والآلات الموسيقية وخاصة الطبل الذي كان من أهم الآلات الموسيقية لدى السكان،وقد حملوا مواد الصباغة من المغرب ومن مدينة غدامس بليبيا،وقد استخدم الصباغون أوراق الأشجار وأضافوا لهذه الصباغ الشب والملح لتثبيت ألوانه[1].

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 291.

**ثالثا : التجارة:**

بعد سقوط المدينة الغانية القديمة في عام 1240م،اجتذبت بيرو(ولاتة حاليا) التجار[1] وبدأت تحتل مكانها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي،وقد أدت ولاتة الدور نفسه الذي كانت تقوم به اودغست في عهد إمبراطورية غانة،وذلك بعد أن ضمتها مملكة مالي بعد قيامها إلى حدودها،إذ اتجهت القوافل التجارية إليها عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى،وقد وصفها ابن بطوطة بأنها مدينة كبيرة تحت إشراف مالي المباشر،إذ يحكمها نائب عنه وأثار اهتمام أهالي ولاتة بالتجار وخروجهم إليهم بالماء والمؤن[2].

ثم برزت تنبكت كأحسن مركز عبور للمبادلات بين الشمال والجنوب بعد أن كانت مجرد مخيم للشتاء قرب النيجر،أو كقرية صغيرة متواضعة،تطورت تنبكت وأصبحت مركزا تجاريا كبيرا وعوضت ولاتة التي كانت تلعب هذا الدور[3] وقد مكنها موقعها المتميز من أن تلعب دورا مهما في اقتصاد شمال وجنوب الصحراء،لقد مثلت التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها،وبذلك اهتموا بها اهتماما كبيرا،وتوافد عليها التجار من داخل السودان الغربي ومن خارجه وخاصة من الشمال الإفريقي،وفي مقدمتهم المغرب وليبيا فكان تجار سجل ماسة،فاس،سوس،غدامس وطرابلس في حركة دؤوبة معها،يحملون بضائعهم ويعودون محملين بالذهب والرقيق وناب الفيل وريش النعام وغيره[4]،حيث تحول تجار مدينة جني بقوافلهم التجارية نحو تنبكت ولم يأت القرن الرابع عشر الميلادي،حتى تحولت تجارة السنغلقة كلها باتجاه مدينة تنبكت البديدة[5] وذلك بعد أن كانت تحتل المرتبة الثالثة بعد ولاتة وغاو[6].

---

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السبق،ص 53.
(2)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 305.
(3)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السبق،ص 53.
(4)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 307-308.
(5)علي محمد عبد اللطيف،المرجعالسابق،ص 87.
(6)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السبق،ص 53.

وقد بلغت تنبكت ذروة الازدهار الاقتصادي في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي،الذي عرف بالعصر الذهبي لتلك المدينة وقد بلغت القوافل القادمة إليها من الشمال الإفريقي سنة 751هـ/1350م اثني عشر ألف جمل،وقد أعجب حسن الوزان بوفرة خيرات تنبكت وبكثرة الحوانيت التي تبيع المنتجات القطنية والأقمشة المجلوبة من الشمال الإفريقي وأوروبا[1].

أ-السوق:

أصبحت مدينة تنبكت أهم أسواق السودان الغربي ولاسيما بعد انتقال سوق الذهب إليها[2]،وكان بها سوق دائم إلى الشرق من منطقة جانقربير أين يكون التقاء التجار من كل السودان،ونتيجة للتطور الاقتصادي الذي شهدته مدينة تنبكت برز عدد من التجار القدماء من السوننكيين المتواجدين في تنبكت،وبالخصوص من الونكاريين او الماندينغ يسمون اليوم"ديولا"[3].

وكان كل ربع من المدينة به سوق محلي صغير وهناك متاجر مخصصة للأجانب الذين كانوا من العرب والبربر هؤلاء هم الأوائل الذين بنو مستعمرات حقيقية للتجارة،و هم أكثر من مجموعة فمنهم من جاء من الساحل الغربي خاصة،مسوفة والبرابيش الذين يشتغلون بالتجارة ونقل الملح،أما المجموعة الثانية فهم اكبر التجار الذين جاءوا من المراكز الصحراوية الكبيرة مثل توات،فزان و تافلالت،أما المجموعة الثانية فهي تتكون من تجار المغرب أو من مصر[4].

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 53.
(2)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 110.
(3)كانت لهم أهمية خاصة جدا في الجزء الغربي من إفريقيا الغربية،برغم أنهم كانوا يتجولون في الجنوب الشرقي إلى مسافات بعيدة،تصل إلى غاية ساحل العاج يبيعون الأقمشة والمائية ويشترون جوزة الكولا والرقيق...انظر عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 54.
(4)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق ،ص 54-55.

وفي سنة 1470م،زار مواطن الماني اسمه "بينيتودي حيث أسس فيها محلا تجاريا يبيع فيه الأقمشة المستوردة عن طريق طرابلس[1]من لامبارديا بالشمال الايطالي،وفي نفس الوقت كانت هناك محلات تجارية يمتلكها ايطاليون يبيعون الأقمشة والستائر الايطالية والحرير حيث كانت تباع بأسعار باهظة في نهاية القرن السادس عشر ميلادي[2].

وكان يتوسط بين البائعين والمشترين سماسرة المدينة،حيث كانوا يجنبون أرباح كبيرة وهناك عدد كبير من أهل المدينة يمتهنون هذه المهنة،وقد يشتغل فيها الأطفال وحتى النساء وغالبية اسر تنبكت يمتلكون متاجر ومنازل يؤجرونها للتجار،ويقومون بدور الوساطة بينهم وبين التجار الأجانب،والمستأجرون في اغلب الأحيان يشترون السلع،ويقومون بتخزينها في انتظار ارتفاع الأسعار للحصول على أرباح تصل إلى نسبة 100%[3].

أما عن الضرائب فقد كانت هناك ضرائب ورسوم فرضت على السلع،فالسلطة الداخلة إلى مدينة تنبكت من بوابة نهر النيجر،والتي تعتبر مدخلا للزنوج تدفع ضرائب مقدارها02%على كل سلعة من السلع القديمة،و حكومة سنغاي لم تتدخل في المعاملات التجارية غير أنها اكتفت بمراقبة السير الحسن للسوق وفض بعض الخلافات أو تجنيد مفتشي الأوزان والمقاييس وتوحيدها وهذا نادى به اسكيا الحاج محمد الكبير[4].

**ب-المبادلات التجارية:**

**1-الصادرات:**

لعبت السلع التي كانت يصدرها السودان الغربي دورا رئيسا في تجارة الصحراء الكبرى،ويأتي في مقدمتها الذهب والرقيق على رأس هاته السلع،وأورد حسن بلعراف

(1)بناها الأفارقة اثر خراب طرابلس القديمة يحيط بها أسوار عالية جميلة لكنها غير متينة كما يجب،وتقع على الساحل في سهل رملي مغروس بنخيل كثير،دورها جميلة بالنسبة لدور تونس وأسواقها منسقة مفصول بعضها عن بعض وليس بها سقايات ولا آبار،وإنما فيها خزانات وتعاني كثيرا من قلة الحبوب...انظر حسن الوزان،ج02.المصدر السابق،ص 97.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 55-59.
(3)نفسه،ص 54-55.
(4)نفسه،ص 56.

قائلا:"...وكان التجار يجلبون السلع إلى تنبكت من فاس،مراكش،سوس ،تافلالت ودرعة...،وغير ذلك ويبيعونها بالذهب والرقيق..."[1].

وكان الذهب يستخرج في إفريقيا الغربية منذ الألفية الولي،ولكن لم يحدث توسع ملحوظ في الإنتاج إلا حوالي02هـ/08م،مع تطورات الاتصالات التجارية مع العالم العربي،حيث كان الجزء الأكبر من الإنتاج يتم تصديره ووجد الذهب في أربع مناطق رئيسية[2] في بامبوك[3] وفي بوري ولوبي في السودان الغربي وفي أشانتي في الغابات،وفي تنبكت حيث بدل الذهب مقابل الملح[4].

أما عن تجارة العبيد فنميز نوعين منهم عبيد ملك للاسكيا الحاج،وهؤلاء أخضعهم اسكيا الحاج محمد الكبير عند انتصاره على سني علي،وهي أربعة وعشرين قبيلة وكل قبيلة مكلفة بعمل معين،منهم من يعملون في القرى الفلاحية ومنهم من يؤدون الواجبات المنزلية...،إلا أن عبيد القرى الفلاحية يستمتعون بنوع من الحرية،فمنهم أسياد في حقولهم وأحرار في نشاطهم وقد يعتق العبيد بحسب أمانته والعبيد يباعون ويرسلون إلى شمال إفريقيا،وفي القرن 10هـ/16م كانت تجارة العبيد مزدهرة،أما عن سعر العبيد فالباحث سالفونت أعطانا أرقاما لسعر العبيد في عام 1447م،حيث سعر العبد الواحد يساوي 02 دينار بتوات،وفي فترة حكم اسكيا داوود بلغ سعر العبد الواحد بـ:10 دنانير[5].

**2-الواردات:**

كانت مدينة تنبكت تستورد أنواع متعددة من السلع منها الملح،حيث في القرن 10هـ/16م كان الملح يضاهي قيمة البترول في الوقت الحالي،حيث كان الملح قاعدة لكل تجار الرحالة الصحراويين حيث كانت حجارة ملح الصحراء أكثر بحثا وشهرة وفي نفس

(1)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 318.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السابق،ص 62.
(3)يقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة باماكو(عاصمة مالي) بحوالي ثلاثمائة كيلو متر وهو من المناجم المهمة في السودان الغربي...انظر الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 281.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السابق،ص 62.
(5)نفسه،ص 63.

الوقت أنشئت ثلاث ممالح أساسية هي اوليل،تيغازا و تاوديني وقد درس موني هذه الممالح الثلاثة بالتفصيل[1].

أما عن ملاحة أوليل فقال عنها الإدريسي:"...ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها..." ويقصد بذلك غزارة إنتاجها ومنها ينقل الملح إلى جميع بلاد السودان[2]وتقع هذه المملحة على المحيط الأطلسي وسبب وقوعها في أخر غرب السودان فقد كان من الصعوبة بمكان وصول ملحها إلى أطراف السودان النائية جنوبا وشرقا،لعدم توفر المواصلات وكان التكرور يتاجرون في ملح اوليل على نهر السنغال[3] هذه المملحة يقدر طولها ب 80كم وعرضها 10 أمتار،ملحها ذو نوعية وجودة عالية تصدر منذ القرن 08هـ/14م نحو تنبكت وغيرها[4].

أما مملحة تغازا سوف أتكلم عنه بنوع من التفصيل في الفصل الثالث،أما مملحة تاودني وهي مصدر من مصادر ملح السودان قال عنها عبد الرحمان اللواتي:"...وأقمت بها مدة فمرضت أياما...لقبح عيشها وملحها..."[5]هذه المملحة تقع جنوب تغازا وشمال غرب مدينة تنبكت وتبعد بحوالي ثلاث أسابيع من السير[6]،والبر غم من ذلك فان القوافل القوافل، نصف السنوية التي كانت تبدأ رحلتها من تنبكت إلى تاودني في أواخر القرن التاسع عشر كانت تشمل على مجموعة تتراوح مابين خمسة وعشرين وثلاثين الف جمل،وتحمل مابين أربعة وخمسة ألاف طن من الملح عن العودة[7] وكان الملح ينقل بواسطة قوافل الجمال المسماة غزالي[8].

أما عن ثمن الملح فقد كان في القرن الحادي عشر للهجري السابع عشر ميلادي يساوي ثلاثة مثاقيل والمراسلة التالية تكشف النقاب عن ذلك وهذه فقرات منها:"...وان

---

(1)نفسه،ص 57.
(2)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 286.
(3)نفسه،ص 224.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 58.
(5)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 286.
(6)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 58.
(7)ا ج هوبكز،**التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**،تر احمد فؤاد بليع،جامعة القاهرة،1998م،ص 94.
(8)تعني في اللغة العربية مصب الماء،يقال أرسلت الماء غزا إليها إذا جاءت بمطر...انظر عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 58.

سالت عن خبر الملح في تنبكت بثلاثة مثاقيل ونصف للحمل..."[1]،كان الملح يشكل أكثر من نصف أحمال القوافل الشمالية القادمة إلى بلاد السودان،وكان هناك إقبال كبير عليه حيث ينفذ بسرعة ويشترى بالذهب[2].

ومن السلع التي كانت تستوردها تنبكت أيضا الكتب حيث مثلت نوعا أخر من التجارة،وكانت مناطق تصديرها الأساسية المغرب،مصر والحجاز حيث كانت أثمانها مرتفعة وخاصة في عهد دولة سنغاي وكانت تنبكت سوقا رائجا لها[3]خاصة في عهد الاسكيا محمد الكبير حيث أصبحت الكتب انفق شيء في أسواق تنبكت وأغلى بضائعها[4]وأنها تدر أرباحا تفوق أرباح البضائع الأخرى،فكانت المملكة بذلك سوق للعلم[5]وتباع بها أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر،وتدر أرباحا تفوق سائر السلع[6]وقد تصل أثمانها في مملكة سنغاي إلى الضعف ونصف الضعف تقريبا مقارنة بما بما هي عليه في بلاد المغرب[7]فقد طلب الفع كعت من السلطان اسكيا داوود أن يشتري له نسخة قاموس[8]فاشترى السلطان هذه النسخة من قاموس عربي بثمانين مثقالا من مدينة مدينة تنبكت[9]مما يدل على المستوى الثقافي الذي أصبحت عليه المملكة آنذاك[10].

وقد عثر على فتوى موجهة لمحمود بغيغ من احد أبناء السودان يقول لصاحبها:"...من مات وخلف كتابا هل يجبر ورثته على بيعها ؟أن لم يكن فيهم من يصلح لطلب العلم أم لا؟الجواب لا يجبرون على ذلك..." وهذا يدل على أن الكتب من السلع المهمة التي كان لها رواج في السودان الغربي[11].

---

(1)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 311-312.
(2)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 36.
(3)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 229.
(4)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السابق،ص 102.
(5) لعماري مرزقلان،**الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي في عهد الاسقيين(899-1000)هـ(1493-1591)م**،مذكرة ماجستير غير منشورة،جامعة الجزائر :2010،ص 109.
(6)مطير سعد خيث،المرجع السابق،ص 232.
(7)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 36.
(8)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 329.
(9)محمود كعت،المصدر السابق،ص 108.
10)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السابق،ص 102.
(11)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 330.

وبالرغم من انه توجد صناعة الأحذية بتنبكت،حيث تصنع الأحذية الحمراء مع الحرير،إلا أن تنبكت تستورد نوع من الأحذية من مملكة غوبر التي كان يصنع بها أحذية مثل التي كان يحتذ بها قدامى الرومان وتعرف عند العرف بالأخفاف[1].

أما الخيول فقد كانت تستورد عن طريق التجار العرب المغاربة إلى المنطقة وقد اعد ذلك القلقشندي بقوله:"...وتجلب الخيل العراب إلى ملوكهم و يتغالبون في أثمانها..."والخيول مرتفعة الثمن وقد اقتصر ركوبها على الملوك وكبار الموظفين وكانت تستخدم في القتال وذلك لسرعة عدوها[2] حيث يقول حسن الوزان انه لا يوجد في هذه البلاد من الخيل غير بعض الراذيل الصغيرة التي يستعملها التجار في أسفارهم وأرباب الحاشية في تجوالهم في المدينة،أما الجياد فتاتي من بلاد البربر مع القافلة ثم تعرض بعد عشرة أيام أو اثني عشرة يوما على الملك ليأخذ منها العدد الذي يريد،ويدفع فيه ثمنا مناسبا[3]فالحصان يساوي سعره أكثر من العبيد كان مطلوبا من طرف الطبقة الارستقراطية ولم يكن ذا أهمية كبيرة فهو ليس الحيوان الوحيد الذي يستعمل في النقل و السفر[4].

جـ-الطرق التجارية:

تعتبر الطرق التجارية الرابطة بين السودان الغربي عامة،ومدينة تنبكت خاصة ونظيرتها في شمال أفريقيا حلقة الوصل الأساسية،حيث كانت القوافل التجارية القادمة إلى السودان الغربي تخترق الصحراء من جميع جوانبها من الشمال إلى الجنوب،وبالعكس وهذا باستثناء الطريق الذي يربط مصر بالمنطقة فان اتجاهه كان غربا إلى الشرق[5].

ويحصي الدكتور عبد القادر زبايدية ستة المشهورة،إلا أن مدينة تنبكت تربطها بمراكز دول الشمال الأفريقي أربع طرق رئيسية حيث كان التجار يأتون إلى تنبكت بواسطة ثلاث مسالك كبرى رابطة لثلاث اتجاهات[6].

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 62.
(2)القلقشندي،ج02،المصدر السابق،ص 277-278.
(3)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 166-167.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 62.
(5)عبد القادر زبايدية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 29.
(6)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 64.

وهي طريق فاس[1] سجلماسة،تغازا،ولاتةوتنبكت حيث ينطلق هذا الطريق من مدينة فاس باتجاه سجلماسة مرورا بمدينة صغروري الواقعة على الضفة الغربية لوادي سيبو جنوب فاس،ثم يتجه عبر موقع يقال له المزي ثم إلى قرية تاسمغرت الواقعة على نهر سيبو منها إلىسجلماسة[2]والمسافة بين فاس وسجلماسة23 يوما من السير[3]والمسافة بين سجلماسة إلى تغازا 25 يوما،ومن تغازا إلى ولاتة 35 يوما،وهكذا تكون المسافة من سجلماسة إلى ولاتة شهران كاملان،والمسافة من ولاتة الى تنبكت 24 يوما مرورا بقرية زاغري[4] ثم النهر الأعظم،وهو النيل يقصد به نهر النيجر[5] وقد وصف حسن الوزان هذا الطريق بقوله:"...وفي الطريق المؤدية من فاس إلى تنبكت توجد بعض الآبار المكسوة في داخلها بجلد الإبل أو المبنية بعظامها،ومن الخطر جدا على التجار أن يقوموا بهذا السفر في فصل الشتاء،لأنه تهب في هذا الفصل رياح قبلية تحمل معها الرمال،الأمر الذي يؤدي إلى تغطية الآبار،وبذلك يموت المسافر عطشا لأنه لا يهتدي إلى طريق البئر..."[6].

وهناك طريق مراكش[7]إلى تنبكت حيث تخرج القوافل التجارية من السنرب عبر مراكش و تافيلالت يصل عدد الجمال فيها في بعض الأحيان إلى 10.000 جمل في الرحلة الواحدة حيث كتب قناصلة أوروبا في مراكش العديد من التقارير يتحدثون فيها عن

---

(1)تبتدئ مملكة فاس من نهر أم الربيع غربا لتنتهي إلى نهر ملوية شرقا وفي الشمال يحد قسم منها البحر المحيط وسائر البحر المتوسط ،وتنقسم هذه المملكة إلى تسعة أقاليم هي : منطقة فاس – ا ز غار - الهيط-الريف- كرط والحوز وكان لكل إقليم منها في القديم إمارته الخاصة ولم يظهر اسم مملكة فا سالا عندما سيطرت أسرة بني مرين واتخذوا من فاس قاعدة لملكهم وحصن دفاعهم...انظر الحسن الوزان بنو محمد ليون الإفريقي،**وصف إفريقيا**،02ج ،حققه محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983م،ج01،ص 193.

(2)أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري،**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**،مقتبس من كتاب المسالك والممالك،مكتبة أمريكا والشرق ميزون نوف،باريس،1965م،ص 147.

(3)ابن حوقل،صورة الأرض منشورات دار الحياة،بيروت،دت،ص 90.

(4)وهي قرية كبيرة تقع بين ولاتة وتنبكت،يسكنها تجار السودان بالإضافة إلى جماعة من البيضان...انظر ابن بطوطة،المصدر السابق،ص 680.

(5)نفسه،ص 274-275.

(6)حسن الوزان،ج01،المصدر السابق،ص 76.

(7)تعد مراكش من كبريات عواصم العالم واشرف مدن إفريقيا ،تقع في سهل فسيح بعيدة عن الأطلس بنحو أربعة عشر ميلا ،بناها يوسف بن تاشفين أمير لمتونه حيث دخل مع قبيلته إلى هذه الناحية ،واتخذها عاصمة لملكه بالقرب من طريق أعمات التي يقطع من الأطلس للذهاب إلى الصحراء موطن هذه القبيلة..انظر المصدر نفسه،ج02ص 126.

مشاهدتهم لقوافل يصل فيها عدد الجمال المحملة بالبضائع إلى أكثر من ألف جمل[1] وقد سلكه الدكتور اوسكار لينز الألماني عام1880م[2]

وهناك طريق تلمسان[3] غرداية،توات وتنبكت،تأتي القوافل التجارية من تلمسان ونواحيها وتجتمع في غرداية،ومنه تنطلق القوافل إلى توات[4].

ومن توات إلى تنبكت حيث تخترق هذه القبائل أراضي قبائل التو ارق وتستمر القافلة في سيرها الطويل نحو شهر ونصف،وخلال هذه المدة تقطع ما يقارب 1300كم بمعدل 45كم في اليوم حتى تصل إلى مدينة تنبكت،حيث تمر هذه القافلة المتجهة نحو مدينة تنبكت،حيث تمر هذه القافلة المتجهة نحو مدينة تنبكت بمنطقة المبروك واروان،وكان هذا الطريق هو أكثر الطرق أمانا،ولذلك كانت قوافل الإقليم التواتي تسلكه عند سيرها نحو تنبكت مرورا بتاوديني،إذ كانت تخرج قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق تنبكت،الأولى تخرج في النصف الأول من السنة ،والثانية تخرج من النصف الثاني منه،حيث تمكث القافلة في تنبكت ثلاثة أشهر،تستبدل خلالها سلعها التي جلبتها معها من أسواق الشمال بالسلع المعروضة في أسواق تنبكت،وعند رجوعها تسلك نفس الطريق الذي ذهبت منه،وتدخل إلى إقليم توات من إحدى نقطة الثلاثة مدنين وقبلي وعين صالح حيث تدفع الرسوم الجمركية على السلع التي جلبتها من الجنوب والنادرة[5].

بالإضافة إلى طريق تكرت[6] ورقلة إلى غاو وهذا الطريق يتصل شمالا ببضائع الموانئ الجزائرية الهامة في الشمال مثل جزائر بني مزغنة وسكيكدة وبجاية وغيرها[7] مدن

---

(1)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 29.

(2)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 30.

(3)يعد مملكة تلمسان واد زا ونهر ملوية غربا والواد الكبير وصحراء نوميديا جنوبا كانت قديما تحمل اسم قيصرية عندما كانت خاضعة للرومان،، تمتد مملكة تلمسان على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلا من الشرق إلى الغرب لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب ،ولهذه المملكة ميناءان مشهوران هما ميناء وهران وميناء المرسى الكبير ...انظر حسن الوزان،المصدر السابق ،ج02،ص 07-08.

(4) عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 66.

(5)فرج محمود فرج،**إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**،ديوان المطبوعات الجامعية،2007م ،ص 21-22..

(6)وهي مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل تلوء يمر في سفحها نهر صغير،يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في أبواب المدن،وهي بسور الطوب والطين ماعدا من جهة الجبل فان صخوره تحميها وتقع هذه المدينة على بعد نحو 500 ميل جنوب البحر المتوسط و300 ميل...انظر الحسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 135.

(7)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 29.

الجريد بالجنوب التوني وبوادي ربيع وسوق وغيرها[1]والمسافة بين تكرت وورقلة هي 70 مرحلة[2].

وهناك أيضا طريق طرابلس،غدامس،عين صالح، توات وتنبكت كان اتصال طرابلس الغرب بعاصمة الصحراء الكبرى،تنبكت وبقية مناطق غرب إفريقيا يتم عن طريق واحة غدامس،حيث كانت القوافل التجارية تتخذ طريقها انطلاقا من طرابلس ثم غدامس،ومنها عين صالح وتوات جنوب الجزائر ثم تنبكت وكان هذا الطريق يسلكه فرعان من القوافل النوع الأول هو عبارة عن قوافل صغيرة وتتكون من 100 إلى 150 جملا،أما النوع الثاني فهو من القوافل الكبيرة التي يصل إلى 2.000 جمل،وقد تصل هذه الجمال إلى ضعف هذا العدد في الرحلة الواحدة،كل هذه القوافل تصل إلى تنبكت في الفترة المحصورة بين شهري ديسمبر ويناير من كل عام وتغادرها بين شهر جويلية وأوت من نفس العام،وقد اختار التجار هذه الفترة بسبب انخفاض درجة الحرارة نهارا[3].

أما بالنسبة للنقل المائي في السودان الغربي كان مستخدما كلما أمكن فقد كان من المعروف انه ارخص وسيلة لنقل البضائع المائية،وكان هذا النوع من النقل التجاري ذا أهمية بالغة خاصة في نهري النيجر والسنغال،وكان السير المائي الداخلي الأكثر حركة ونشاطا هو القطاع الأوسط الذي يربط مدينة تنبكت بالمركزين التجاريين والإداريين جني على بعد 25 ميلا أعلى النهر وغاو حوالي المسافة نفسها في اتجاه مجرى النهر،ففي هذا الجزء من النهر كانت تستخدم مئات القوارب منذ القرن 07هـ/13م[4]وهذا عند فيضان النهر خلال أشهر جويلية واوت وسبتمبر[5].

ثم يأتي تجار تنبكت في هذه الفترة حاملين بضائعهم في زوارق صغيرة ضيقة جدا مصنوعة من نصف جذع شجرة مجوفة،تجري بهم نهارا ويربطونها ليلا في الضفة

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 67.
(2)وتساوي 3.75كم...انظر عمار بن خروف،**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ/16م**،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2008م،ج02،ص 68.
(3)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 21-30.
(4)(أ.ج)هوبكز،المرجع السابق،144.
(5)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 68.

لينامو ا على الأرض[1] كما كانت هناك قوارب كبيرة تستطيع حمل ونقل ستة أطنان من السلع،وعدد كبير من المسافرين[2]،كما كانت بعض قوارب الكنو[3]أفضل قدرة من القوارب الأخرى على التعامل مع المصاعب،فالقارب الواحد يستطيع حمل مابين 10 أطنان إلى 30 طنا من البضائع كما يستطيع حمل عدد يصل إلى 100 فردا من الأشخاص[4]،وهناك دليل يبرهن أهمية نهر النيجر في النقل البحري حيث كانت مدينة باماكو تصدر الذهب[5].

والكولا[6]المتواجدة بأعالي النيجر،ولاسيما الحبوب وبعض المنتجات الأكثر استعمالا حيث حيث سهل نهر النيجر العلاقات بين المدينتين[7].

**د – نظم التعامل:**

**1-المقايضة:**

كانت المقايضة إحدى الوسائل التي يتعامل بها تجار السودان الغربي،منذ أقدم العصور وهي تعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضونه من سلع،فالتاجر السوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية إلى جانب بعض السلع الأخرى مثل الريش والتوابل ويعرض التاجر الوافد الملح إلى جانب بعض المنتجات،وكل واحد يصنع تجارته ويختلي منها إلى أن يتفقوا ويسمى هذا النوع من التجارة بالتجارة الصامتة[8].

فالمقايضة كانت معروفة ومتعامل بها في كل مراكز السودان الغربي،وهذه الفتوى تؤكد وجود هذا النوع من التجارة،فقد أفتى الشيخ سيدي المختار ابن احمد بن أبي بكر في

---

(1)الحسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 164.

(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 69.

(3)زورق طويل مذنب من الطرفين يقاد بمجداف وكان المستخدم منه في إفريقيا الغربية متفاوت الحجم،وكان بعضه يبلغ طوله ثمانين قدما أو أكثر...انظر (أ-ج)هوبكز،المرجع السابق،ص 144.

(4)(أ-ج)هوبكز،المرجع السابق،ص 144.

(5)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 69.

(6)جوزة الكولا منشط معتدل يحتوي على الكافين،وقد كانت ولا تزال تمضغ لتخفف التعب والتغلب على العطش وكان النوع الأكثر انتشارا هو كولا نتيدا الذي كان يزرع في الغابات من غينيا شرقا إلى ساحل الذهب...انظر (أ-ج)هوبكز،المرجع السابق،ص 117.

(7)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 69.

(8)أو المقايضة الخرساء التي يفترض أنها ترتيبا تتم بمقتضاه مبادلة السلع بكميات مقابلة ولكن دون محادثة شفهية فيما يتعلق بالسعر...انظر(أ-ج) هوبكز،المرجع السابق،ص 132.

جواز بيع السلع بالطعام وفيما يلي فقرات منها:"...وسيدي شيخنا سيدي المختار بن احمد بن أبي بكر...أفتى جواز بيع الملح بالطعام..."[1].

ونتيجة لكثرة الذهب في تنبكت،استخدم في المعاملات التجارية ليس لضرب العملة وإنما كان أهلها يقايضون التبر بالملح مع تجار القوافل من الشمال الإفريقي،ولم تقتصر المبادلة على هاتين المبادلتين فقط بدل الملح مقابل البذور[2].

**2-الودع:**

كما كان التعامل بالودع كثيرا في منطقة السودان الغربي،وقد ذكره الجغرافيون والرحالة على انه من العملات الكثيرة التداول في مراكز السودان الغربي التجارية[3] حيث كان اعتبار كبير ويتخذ في الأسواق كنقود يعوض بها الذهب في البيع والشراء[4]،وكانت قواقع الودع مستخدمة في الأسواق الرئيسية في النيجر الأوسط منذ القرن الحادي عشر على الأقل 05هـ/11م،وقد انتشر الودع غربا إلى موريتانيا قبل القرن 09هـ/15م،وشرقا بلاد الهوسا في القرن 12هـ/18م ووصل إلى برنو في النصف الثاني من 13هـ/19م[5] ولقوته الشرائية الجيدة كان التجار يحضرونه بكميات كبيرة من الأندلس والمغرب الأقصى وكان يصل عن طريق التجار العرب من سواحل المحيط الهندي[6].

(1)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 339.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 69.
(3)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 340.
(4)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 34.
(5)(أ-ج)هوبكز،المرجع السابق،ص 134.
(6)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 340.

# الفصل الثالث
# الأوضاع الثقافية لمدينة تنبكت

أولا . التعليم.

أ- المساجد.

1-المسجد الجامع الكبير.

2-مسجد سنكري.

3-مسجد سيدي يحي.

4-مسجد التواتيين

ب- المدارس.

1-مراحل التعليم.

أ- مرحلة التعليم الابتدائي(الكتاتيب).

ب- مرحلة التعليم الثانوي والعالي.

جـ-الشهادات .

ثانيا : العلماء.

أ- ابرز العلماء الوافدون من المغرب ومصر والحجاز إلى مدينة تنبكت .

ب- ابرز العلماء المحليون الذين رحلوا طلبا للعلم.

جـ-مؤرخو مدينة تنبكت.

ثالثا : القضاء والقضاة.

بعد أن أصبحت مدينة تنبكت،المركز التجاري الهام في غرب إفريقيا ومصدر الثروات الكثيرة التي ملأت خزائن الدولة،تحولت إلى منارة علم ومركز حضاري ومصدر إشعاع ديني عظيم[1]وكان القرن السادس عشر قد فيض خلاله لمدينة تنبكت أن تصبح محطة القوافل الأولى في كل بلاد السودان،فسكنها كثير من التجار وقصدها جم غفير من العلماء والطلاب،مما بوأها أثناءه مكانة المدينة الأولى للحكم والثقافة في السودان الغربي كله،وفي تلك الحقبة وصفت بأم مدائن السودان سواء في العلم أو الحضارة[2].

ولقد شهد المؤرخ الفرنسي دبيوا بان القرن السادس عشر كان أزهى العصور التي مرت بتنبكت والتي وصلت في ذلك الحين إلىأوج المجد الأدبي والعلمي وذلك قبل أن يدهمها الغزو المغربي[3].

هذه المدينة العلمية المشهورة أنجبت علماء أفذاذا،كأحمد بابا التنبكتي وزاد شهرة المدينة احتضانها جامعة سنكري التي كانت تضاهي الزهر والزيتونة وغيرها من مراكز العلم[4]،وظلت تنبكت مركز للثقافة والحضارة بالسودان الغربي طيلة ما يقرب من مائة عام،في الفترة التي كانت أوروبا فيها تحترق بحرب المائة عام،ويصف ليون الإفريقي تنبكت فيقول:"...إن في تنبكتو عددا كبيرا من القضاة الأطباء والكتبة..."[5].

**أولا: التعليم:**

حظي التعليم في السودان الغربي برعاية كبيرة من الحكام والأهالي نظرا لما كان يتيح لطلابه من مكانة مرموقة في المجتمع بعد تحصيله[6]،وقد أتاحت لنا الوثائق الإفريقية

(1)عبد الحميد حنيدي،**مدينة تنبكت..**،المرجع السابق،ص 73.
(2)عبد القادر زبادية،القرن **16 وحركة التعليم في تنبكتو مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب**، مجلة المؤرخ العربي،العدد 14،تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، 1990،ص 108.
(3)عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 220.
(4)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 117.
(5)باسيل دافيدسون،**إفريقيا القديمة تكتشف من جديد**،ترنبيل بدر وسعد زغلول،الدار القومية للطباعة والنشر،مصر،د-ت،ص 46.
(6)الأمين محمد عوض الله،**العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي**،رسالة ماجستير،منشورة دار المجتمع العلمي،جدة،السعودية،1979م ،ص 123.

والعربية فرصة الحصول على معلومات كافية عن المراكز الثقافية التي شعت منها الثقافة العربية إبان العصور الوسطى،والحديثة وفي مقدمة هذه المراكز تنبكت[1].

حيث حضيت هذه المدينة وجامعاتها سمعة مدوية في العالم الإسلامي مثل السمعة التي حضيت بها فاس،القاهرة وتونس[2]،حيث كانت مقر التعليم وكثرت بها المدارس والمساجد[3].

**1-المساجد:**

لعبت المساجد منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام ادوار طلائعية في ميادين شتى دينية،ثقافية واقتصادية،وتعتبر أول معهد في تاريخ التعليم في الإسلام ويعد المسجد أفضل مكان للتدريس،لأنه اعم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة[4].

**1-المسجد الجامع الكبير:**

يعتبر هذا الجامع من أقدم المساجد وأكبرها والتي قامت بنشر الإسلام وثقافته في منطقة تنبكت[5]،وهو أول مسجد بني في تنبكت والمعروف عند أهلها باسم "جنكربير"أو "جنجربر"[6]بناه موسى صاحب مالى من ماله الخاص وصومعته على خمسة صفوف،ومن جهة بمبنه وغربه في الخارج توجد القبور،وهذه العادة أخذها أهل السودان عن المغاربة حيث لا يدفنون موتاهم إلا بالقرب من مساجدهم وجوامعهم[7].

وقد وسعت مساحته وأدخلت عليه تحسينات مرتين خلال القرن السادس عشر الميلادي من طرف قاضي تنبكت العاقب بن القاضي محمود،وذلك حتى يصبح يستعيب(يستقبل)عدد كبير من الطلبة والمعلمين الذين يقصدوه ويبدو أن كثرة الازدحام هي الدافع وراء توسعه[8]وقد تم ذلك في 97هـ/1570م على عهد الاسكيا داوود الذي ساهم بدوره في

---

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت ...**،المرجع السابق،ص 74.
(2)الأمين محمد عوض الله،المرجع السابق،ص 123.
(3)نعيم قداح،**حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**،ط02،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،د-ت،ص 159.
(4)عبد الرحمان محمد ميغا،**الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر هجري**،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،2011،ص 148.
(5)السعدي،المصدر السابق،ص 56-57.
(6)احمد الارواني،المصدر السابق،ص 159.
(7)السعدي،المصدر السابق،ص 56.
(8)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السبق،ص 65.

إعادة بناءه وتوسيعه[1]حيث بعث الاسكيا داوود 4000 خشبة من شجر الكنكن ومنه اكتمل بناءه،وقام القاضي العاقب بتوسيعه للمرة الثانية سنة985هـ[2]ولما زار الرحالة بارث تنبكت في القرن 19م،وصف المسجد وصفا دقيقا بقوله:"...يوجد في المسجد اكبر برج،في حين أن الجزء الرئيسي من المبني يضم تسعة أجزاء مختلفة الحجم،يقول ويقدر طوله ب 662 خطوة وعرضه ب194 خطوة،وفيه سبعة نوافذ في الجانب الشرقي وبه مساحة فسيحة..."[3].

2-مسجد سنكري:

يعد هذا الجامع من أعظم المساجد والمعاهد التي نهضت بدور تعليمي في مدينة تنبكت وتعرضت لعدة إصلاحات في تاريخه الطويل يقع هذا المسجد في حي سنكوري في تنبكت[4]بنته سيدة اغلانية فاضلة قيل أنها كانت ذات مال كثير في جهة الشمال الشرقي للمدينة[5]،فبالرغم من اجتهاد بعض الباحثين المعاصرين في تحديد تاريخ بنائه إلا أن تاريخ بنائه يبقى غير معروف[6]فمنهم من يرى انه بني قبل عام 1327م،أي قبل المسجد الكبير[7]

أما الباحث سينكي مودي يرجع إنشاءه إلى النصف الأول من القرن 09هـ/15م[8]،غير ان الذاب من خلال إشارتين أوردهما عبد الرحمان السعدي بان بناءه تم في الفترة السابقة للقرن 10هـ/16م،فالأولى تفيد بان الفقيه محمود عمر اقيت هو أول من تولى الإمامة بجامع سنكري،وهو الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي،حتى إلى النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي،والثانية تظهر في قول السعدي:"...ولما سمع أكل بمجيئه احضر ألف جمال ورحل فقهاء سنكري،ومشى بهم إلى

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 74.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 110.
(3)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت ...،المرجع السابق،ص 75.
(4)محمد محمد كينان ميغا،**مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكتو وغاو وجني في عهد الاساكي**،مجلة قراءات افريقية،العدد الثالث،تصدر عن المنتدى الإسلامي،ذو الحجة1429هـ،ديسمبر2008م،ص 31.
(5)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 78.
(6)السعدي،المرجع السابق،ص 62.
(7)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت**...،المرجع السابق،ص 78.
(8)سينكي مودي سيسوكو ،المرجع السابق،ص 212.

بير...ومشى فيهم الفقيه عمر بن محمد اقيت وأولاده الثلاثة،هذه العبارة تفيد بان أكل سلطان الطوارق عندما سمع بمهاجمة سني علي لتنبكت عمل على ترحيل علماء سنكري خارجه،مما يدل على أن المسجد كان موجودا في زمن سني علي أي في القرن 09هـ/15م[1].

أما محمود كعت فذكر أن مؤسسه هو القاضي العاقب بن محمود سنة 989هـ/1581م،على أبعاد قياسات الكعبة الشريفة[2]ومحمود كعت يقصد من وراء ذلك إعادة بناءه وترميمه[3]ويذكر السعدي انه تم توسيعه قبل ذلك سنة 986هـ[4]،وكانت أخر أخر عملية توسيع شهدها المسجد عام 1585م،وهذا يدل على مدى تكاثر الطلبة والمعلمين وازدهار التعليم فيه،فمسجد سنكري قامت فيه نهضة ثقافية زاخرة،حيث حمل لواء الوعظ والإرشاد والإقراء ودرست به مختلف العلوم،مما جعله يحتل المرتبة الأولى من بين جوامع تنبكت[5]ليتطور إلى اكبر جامعة في مجال التعليم العالي في السودان الغربي[6]،كان التعليم فيها على مستوى عال ويدرس فيها المواد بشكل تخصص، وتتناول بتفصيلات واسعة وتنافس المسائل فيها على أمهات المؤلفات،ولا يدرس فيها إلا الأساتذة المتضلعون في فنونهم المحيطون بكل الجزئيات في المواضيع التي يدرسونها وهو شبيه بالأزهر في القاهرة وجامعة القيروان بتونس،والقرويين بفاس وجامعة قرطبة بالأندلس[7].
بالأندلس[7].

كانت مركز للدين والعلم والأدب حيث قصدها عدد كبير من الطلاب من حواضر وقرى السودان الغربي[8]ومن جامعة سنكري هذه تخرج الكثير من علماء السودان الغربي الغربي الذين كان لهم دور بارز في الإنتاج العلمي المعرفي،الذي ساد أنحاء العالم

(1)مرزقلان لعماري، المرجع السابق،ص 94-95.
(2)محمود كعت،المصدر السابق،ص 121-122.
(3)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 111.
(4)السعدي،المصدر السابق،ص 111.
(5)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السابق،ص 195.
(6)مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 95.
(7)محمود كعت،المصدر السابق،ص 149.
(8)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 223.

الإسلامي في القرون الوسطى،والذين يرجع لهم الفضل في نشر الثقافة الإسلامية العربية في كل مناطق السودان بشقيه الشرقي والغربي[1].

**3-مسجد سيدي يحي:**

هو أول مسجد بني في مدينة تنبكت لأداء صلاة الجمعة والصلوات الأخرى من طرف الملك عقيل[2]سلطان طوارق مغشرن[3]الذي سبق ذكره،وهو اصغر حكامه من المسجدين المسجدين السابقين وجدرانه اقل ارتفاعا[4]فبعد انهيار دولة الطوارق اندثر المسجد وخرب وخرب لكن سرعان ماقام حاكم تنبكت الجديد محمد نض الشنقيطي بإعادة بنائه وتجديده،ونصب الولي الصالح سيدي يحي التدلسي إماما له،حيث حمل المسجد اسمه بعد ذلك واستمر في إمامته حتى وفته المنية عام 888هـ[5]،ثم تجديده للمرة الثالثة في القرن العاشر هجري زمن الاسقيين من طرف القاضي العاقب بن محمود اقيت،فوسع هو أضاف إليه إضافات هامة عام 976هـ[6].

هذه المساجد الثلاثة حققت نتائج ايجابية كبيرة في مجال الثقافة والتعليم مما ساعد على ترسيخ مبادئ الثقافة الإسلامية بالمنطقة حيث خرجت الكثير من العلماء والفقهاء والقضاة والأدباء[7].

**4 مسجد التواتين:**

هو المسجد الذي يرجع صاحب كتاب السعادة الأبدية تاريخ بناءه إلى عام 1190هـ/1776م[8]غير أن جل المصادر والمراجع المتوفرة لم تأت على ذكر تاريخ بناءه وعلى من بناه[9]إلاأن الباحث مبروك الدالي كتب أن هذا المسجد بني قبل هذه الفترة بزمن بعيد،ويستند في ذلك إلى الرواية الشفهية التي ترى أن تاريخ بناءه

---

(1)عمار هلال،المرجع السابق،ص 76-77.
(2)مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 96.
(3)احمد بابير الاروانى،المصدر لسابق،ص 72..
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينةتنبكت...**،المرجع السابق،ص 79.
(5)الاروانى،المصدر السابق،ص 72-73.
(6)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 197.
(7)مرزقلانلعماري،المرجع السابق،ص 97.
(8)الاروانى،المرجع السابق،ص 74.
(9)مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 97.

عام920هـ/151م،من طرف محمد علي التواتي القادم من بلاد التوات مع جماعة من أبناء جلدته[1].

وفي الزيارات اللاحقة إلى منطقة السودان الغربي خاصة إلى مدينة تنبكت،أورد روني كالبيه خمسة مساجد صغيرة أخرى،إضافة إلى المساجد السالفة الذكر،بينما يحصيها الرحالة الألماني بارث بثلاثة مساجد أخرى وذكرها بالاسم هي جامع سيدي محمد،جامع مسعد بلال وجامع سيدي البامي دون الإشارة إلى مسجد التواتين[2]،فقد كانت الأموال التي التي تصرف على بناء المساجد وصيانتها وترميمها في مدينة تنبكت كثيرة،حيث تنافس العلماء والعاملين للخير،وحب الدين على بنائها حيث انفق القاضي العاقب بن عمر أموالا كثيرة في ترميم المساجد الثلاثة المسجد الكبير،مسجد سنكري ومسجد سيدي يحي،حيث كان ينفق يوميا سبعا وستين(67)مثقالا إلا ثلثا،كما نافسه في الإنفاق الأمين[3]وعند دراسة بقايا الآثار الإسلامية في تنبكت وغيرها،يكشف لنا عن وجود أسلوب سوداني في العمارة،متأثر بالطرز الإسلامي وهو أسلوب عمراني يمتاز بقلة النقوش داخل المسجد لكنه احتفظ بالتزيين والخطوط الهندسية كما سبق ذكره[4].

**ب- المدارس :**

عاشت تنبكت في القرن السادس عشر ميلادي نشاطا كبيرا فيما يخص حركة التدريس وقد ضمت مدارسها العديد من الطلاب والأساتذة كما رأت لأول مرة في تاريخ السودان الغربي اتساع التعليم الجامعي،وتوارد عليها في تلك الأثناء عدد من الأساتذة من بلدان المغرب،فساهموا في تنشيط التعليم وتعميقه وفي تلك الفترة بدا العلماء السودانيون في الإنتاج،فكتبوا شروحا لعدد من المؤلفات الهامة التي الفت خارج السودان[5].

وكانت في تنبكت في القرن 10هـ/16م،حوالي 180 مدرسة قرآنية وآلاف من الطلبة القادمين من جميع أنحاء السودان والساحل وكان الأساتذة وبعض الأهالي يستضيفون الطلبة عندهم،ولقد كان الأساتذة يعيشون حياة ميسورة ويتفرغون للتدريس ليلا نهارا

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 91.
(2)مرزقلان لعماري،المرجعالسابق،ص 97.
(3)الاروائي،المصدر السابق،ص 74.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 82.
(5)عبد القدر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 63.

بالرغم من عدم تقاضيهم الأجور[1]،ففي أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد،لكن فيما بعد ألحقت المدارس بالرباط(وهو المكان الذي يقوم فيه المرابطون للتعبد)الأمر الذي قام بتقليده الإفريقيون،حيث أصبح إلى جانب كل زاوية مدرسة لتعليم الأطفال،وقد كان الأطفال يتلقون تعليمهم بواسطة لحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي وذلك في القرى الصغيرة التي تخلو من المساجد[2].

فمن أهم وأشهر المدارس في عهد الاساكي،معهد سنكوري أو جامعة سنكوري ومدرسة محمود عمر قاضي تنبكت سنة 995هـ،وقد تخرج منها معظم مشاهير علماء تنبكت،مدرسة كلسخ أي منبع العلم،وكانت تدرس فيها العلوم الدينية وتقع وسط تنبكت مدرسة الفقيه أبي بكر احمد اقيت التنبكتي،اشتهرت هذه المدرسة بالنحو واللغة ومن أشهر من تخرج منها العالم الكبير احمد بابا التنبكتي، مدرسة القاضي محمود أبو محمد الكابري،تقع في حي سنكوري،وكان طلاب العلم يأتونها من جميع بلاد سنغاي وخارجها،تخرج منها علماء مجتهدون مثل الفقيه عمر بن محمد اقيت والسيد يحي التادلي الشاعر المعروف ، في زمانه[3].

**1-مراحل التعليم:**

لقد تميز التعليم في تنبكت بانتظام مراحله،حيث قسم التعليم خلال القرن السادس عشر ميلادي(16م) إلى ابتدائي وثانوي وعال[4].

**أ-مرحلة التعليم الابتدائي (الكتاتيب):**

يعد التعليم الابتدائي المرحلة الأولى والأساسية لكل الطلاب كان يمارس فيما يعرف بالكتاتيب[5]وفي بعض الأحيان يقوم المعلمون بتعليم البقية في مدارس ملحقة

(1)سينكي مودي سوكو ،المرجع السابق،ص 220.
(2)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 84.
(3)محمد محمد كان ميغا،المرجع السابق،ص 31.
(4)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 63.
(5)هي جمع كتاب ومعناها التي يتعلم فيها الأطفال،ويتربون فيها تربية إسلامية على الطريقة التقليدية القديمة،تختلف تسميتها في العالم الإسلامي فهي الكتاب في بلاد المغرب،والخلوة في السودان والدارة في السنغال،والمحظورة في موريتانيا والمدرسة في زنجبار وكينيا ودار السلام وهي الدهليز والماكرينز في نيجيريا...انظر سرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 85.

بالمساجد،حيث كان هناك غرفة أو غرفتان مخصصة للتدريس هذه الغرفة توجد بجانب كل مسجد[1].

كما كان هناك بعض المعلمين يتخذ لطلابه مجالس في العراء أو تحت ضلال الأشجار[2]،وتعتبر مرحلة التعليم الابتدائي هي المرحلة الوحيدة التي يراعي فيها إلى حد مستوى السن،حيث كان التلاميذ في السلك الابتدائي لا يتجاوزون في اغلبهم مرحلة الصبا[3]وقد شملت معظم الكتاتيب عدد كبير من التلاميذ وكان اشهرها مكتب المعلم تكريا في تنبكت الذي فاق عدد تلاميذه مائة وثلاثة وعشرين(123) تلميذا حيث اتخذ من بيته مقرا له[4].وكذلك مكتب الفقيه أبي القاسم التواتي الذي كان ملتصقا بالمسجد الجامع في تنبكت[5]وفي هذه المرحلة كان الآباء يقودون أبنائهم بأنفسهم إلى معلميهم ويجبرونهم على على

الدوام كما يراقبون مدى استيعابهم[6]لذلك تعتبر مرحلة التعليم الابتدائي أهم مرحلة في التعليم لأنه من دونها لا يمكن للطالب أن يتأهل لمزاولة الدراسة في بقية المراحل،إذ قال حسن الوزان في ذلك:"...يعلمهم المعلم القراءة والكتابة،وليس في كتاب معين بل استعانته بألواح خشب كبيرة يكتب عليها التلاميذ...ويختم القرآن في سنتين أو ثلاث سنوات ثم يستأنف ذلك عدة مرات إلى أن يجيد الطفل تعلمه بصورة متقنة،ويحفظه الملقن على ظهر قلب أو يدرك بعد ذلك انقضاء سبع(07)سنين،ومن ثم يعلم الأولاد قليلا من الخط..."[7]حيث كان الأطفال في هذه المرحلة يدرسون مواد أساسية كحفظ القران الكريم وتعليم اللغة العربية ومبادئها وإتقان الخط[8].

**ب-مرحلة التعليم الثانوي والعالي:**

(1)نعيم قداح،المرجع السابق، ص 85.
(2)نعيم قداح،المرجع السابق،ص 157.
(3)عبد القادر زبادية:**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 100.
(4)محمود كعت،المصدر السابق،ص 180.
(5)السعدي،المصدر السابق،ص 58.
(6)عبد القادر زبادية:**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 64.
(7)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 221.
(8)عمر بن سالم بابكور:المرجع السابق،ص 25.

بعد أن ينتهي الطالب من مرحلة التعليم الابتدائي يدخل مرحلة التعليم الثانوي والعالي،حيث لم يكن لهاتين المرحلتين عرف معين في السن،كما أن الفرق بينهما لم تكن واضحة كما أن الفرق بينهما لم تكن واضحة،ولعل مرد ذلك إلى أن هاتين المرحلتين كان التعليم فيهما حرا بالنسبة لانخراط الطلبة،وكانت مرحلة التعليم الثانوي تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب البسيطة[1]وكانت تدرس مقررات المرحلة الثانوية في المساجد الصغيرة كمسجد الونكريين في تنبكت الذي كان فيه التعليم من النوع الثانوي،حيث يستقبل الطلاب الذين انهوا الدراسة بالمرحلة الابتدائية[2].

وكان يتولى التدريس غالبا من يسمون بالأشياخ،يبدو أن الأشياخ في العرف آنذاك كانوا متوسطي الثقافة بالنسبة للأساتذة لكن عددا من الأساتذة تعاطوا أيضا تدريس مثل هذه المؤلفات،وهذا يجعل الانفصال واضح للباحث بين المرحلتين(التعليم الثانوي والعالي)لان أولئك الأساتذة في نفس الوقت كانوا يجمعون إلى ذلك تدريس أمهات الكتب المفصلة في نفس الموضوع،يبدو أنهم كانوا يقسمون أوقاتهم خلال النهار،فيدرسون مثلا في الصباح طلاب التعليم الثانوي،ثم يجلسون بعد الظهر طلاب المرحلة العليا أو العكس[3].

ولم يكن للدراسة زمن محدد فهو رهينة قراءات الطلاب لعدد معلوم من كتب الفقه والحديث،والمنطق وعلوم اللغة وغيرها[4]وقد تمتد الدراسة فيها لأكثر من عشر(10)سنوات، وربما يقضي بعض الطلاب نصف عمرهم في هذه المرحلة[5].أما إذا تحدثنا عن أوقات الدراسة كانت ساعات التدريس تستغرق النهار كله،ولا تتوقف إلا في أوقات الصلاة،وكان بعض الأساتذة يدرسون حتى في أوقات متأخرة من الليل[6].

وكان الأساتذة في هاتين المرحلتين يجلسون للتدريس ويلتحق حولهم الطلاب ويجلس الطالب في حلقة ما حسب رغبته في المادة التي يكون الأستاذ بصدد تدريسها أولا،ثم

(1)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 64.
(2)مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 87.
(3)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 64.
(4)حسن أحمد محمود،**الإسلام والثقافة العربية الإسلامية**،دار الفكر العربي للطباعة والنشر،د-ت،1998م،ص 86.
(5)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 222
(6)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 864.

قدرته على الفهم والاستيعاب[1]،أما إذا تحدثنا عن الأساتذة فقد كان التواضع من شيم الأساتذة اللامعين بتنبكت في تلك الفترة،وكان صبر الأستاذ على تفهم طلبته يعتبره الناس من صفة الأساتذة الناجحين في مهنهم،وكانت الطريقة الشائعة في الدرس هي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته،وبعدها يقرا الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الأساتذة ثم يطلب كل منهم توضيح ما أشكل عليه[2]

**جـ-الشهادات:**

عرف المدرسون والطلاب في تنبكت خلال القرن السادس عشر ميلادي(16م)نظام الشهادات كما عرفته البلاد الإسلامية الأخرى،وبما أن طلب العلم يتصف بالحرية التامة ،فيما يتصل بالطلاب فانه يبدو أن الأساتذة أيضا كانوا لا يجيزون الطلاب إلا بعد التأكد من تمكنهم في المواد التي يدرسونها[3]،وكانت هناك شهادات خاصة تختص بالقران الكريم أو الحديث أي أنها تتعلق بالثقافة الإسلامية البحتة لنشر كلمة الله[4]والى جانب العلوم الدينية كانت هناك شهادات عامة تشتمل عدة مواد[5]أما طريقة الإجازة[6] فقد كانت كانت بسيطة تستند إلى تأكد الأستاذ من أن الطالب يكون قد أحرز على التمكن الكافي في مادة بعينها،حيث أن الأستاذ لا يراعي أية شكليات في منح الإجازة لطالب العلم على بدبه،ولكنه يراعي بدقة مدى الكفاءة التي يكون قد حصل عليها،وقد كانت الشهادات تعطى فردية،بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ في المواد التي يتقنها ذلك الأستاذ،ويتعاطى تدريسها ولكنه يبقى طالبا في مواد أخرى[7]وقد تمنح الشهادات أحيانا بطريقة جماعية[8]في حفل كبير وعادة ما تسلم للطلاب عمائم،دليلا على انهم أصبحوا من العلماء وقد يحضر حفل التخرج أهل الناجح وأصدقائه[9].

---

(1)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 64.
(2)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 64.
(3)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 67.
(4)مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 29.
(5)عمر بن سالم بابكور،المرجع السابق،ص 29.
(6)هي إقرار الأستاذ بأهلية الطالب وتمكنه في مادة ما من المواد أو اكثر ،ويتم النطق بذلك الإقرار أو يحرر على ورقة تعطى للطالب المتخرج...انظر مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 111.
(7)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،المرجع السابق،ص 68.
(8)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 28.
(9)عمر بن سالم بابكور،المرجع السابق،ص 28.

وكان الأساتذة يتحرون الدقة في العبارات التي يكتبون بها الشهادات للطلاب،بحيث ينحصر محتواها في نطاق المعلومات التي يتقنها الأستاذ المدرس،ولا يتجاوزونها لغيرها،ومن هنا يتضح مدى الدقة في نظام تلك الإجازات رغم بساطته[1]وفي ذلك يقول احمد بابا التنبكتي عن احد الأساتذة الذين أجازوه:"...حضرت أنا عليه أشياء عدة،وإجازتي في جميع ما يجوز له وعنه،وكتب لي بخط يده..."[2]،وكان أولئك الطلبة يجتهدون في الحصول على هذه الشهادات العلمية المكتوبة من مدرسهم لان الشهادة تؤهل الطالب للعمل بالتدريس[3]أو الخطاب أو الإمامة،أو كاتبا في مصلحة حكومية أو في نسخ الكتب وقد تنتهي بالعمل بالقضاء كمساعد للقاضي أو نائبه وحتى تولي مهامه[4].

وكانت الشهادات تعطى للطالب المتخرج مباشرة ويتسلمها بنفسه يدا بيد،وفي حالات خاصة كانت تمنح عن طريق المراسلة،أي يقوم الطالب بمراسلة أستاذه الذي لم يتمكن من الجلوس اليه مباشرة لبعد المسافة بينهما[5]وهذا لابد أن يكون الأستاذ عارفا بقدرات الطالب وكفاءته،مثلما حدث في الإجازة التي منحها احمد بابا التنبكتي مراسلة لتلميذه عبد الرحمان التومرتي الذي سبق لأحمد بابا أن سمع بأخباره ولي القضاء واشتهر بالإفتاء والاجتهاد[6].

وبناء على ذلك فان الشهادات كانت في شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أو أكثر بعد أن يكون هذا الأخير قد اطلع على المؤلفات الكبيرة والصغيرة في موضوعها وأجاد تحصيل المعلومات الموجودة لها[7].

---

(1)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 68.
(2)احمد بابا التنبكتي،**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،02ج،تح-علي عمر،ط01،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ج2004،01م،ص 79.
(3)مرزقلان لعماري،المرجع السابق،ص 102.
(4)عمر بن سالم بابكور،المرجع السابق،ص 28.
(5)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 231.
(6)عمر بن سالم بابكور،المرجع السابق،ص 29.
(7)عبد القادر زبادية،**الحضارة العربية...**،المرجع السابق،ص 68.

**ثانيا : العلماء:**

شهدت مدينة تنبكت خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي نشاطا فيما يتعلق بحركة التدريس،حيث ضمت مدارسها عدد كبير من الطلاب والأساتذة كما شهدت لأول مرة في تاريخ السودان الغربي اتساع التعليم الجامعي،وتوارد عليها في تلك الحقبة عدد من الأساتذة من بلدان المغرب،ساهموا في تنشيط التعليم وتعميقه،وذلك باستقدام العلماء وتشجيعهم على طلب العلم[1].

**أ-ابرز العلماء الوافدون من المغرب ومصر والحجاز إلى مدينة تنبكت:**

لم يكن حرص ملوك السودان الغربي عامة و تنبكت خاصة،على نشر العلم وإرساء قواعد نهضة ثقافية في بلادهم مقصورا على إيفاد طلاب العلم إلى المراكز الاسلامية في العالم الإسلامي في تلك الوقت،بل اهتموا اهتماما شديدا باستقدام كثير من العلماء والقضاة من مواطن العلم،في مصر والمغرب[2].

حيث قصدها جم غفير من العلماء والطلاب،مما بوأها اثناءه مكانة المدينة الأولى في العلم والحضارة[3]هؤلاء العلماء منهم من كان بارعا في علوم الشريعة وأصولها،وفروعها وأصولها،وفروعها ومنهم من كان بارعا في اللغة وفقهها والنحو وأسرار البيان،ومنهم من جمع بين هذه العلوم كلها إلى جانب مشاركتها في الطب والهندسة والحساب والتنجيم وغيرها[4].

**1-الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (رحمه الله):**

ينتسب محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى قبيلة مغلية بأحواز تلمسان،ولا نعرف بالضبط متى ولد لان الذين ترجموا له لم يحددوا ذلك،ولكن يبدو انه ولد في مطلع القرنين

(1)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 91.
(2)نفسه،ص 92.
(3)الأمين محمد عوض،المرجع السابق،ص 123.
(4)محمد كيتن ميغا،**مجلة قراءات افريقية**،المرجع السابق،ص 29.

19هـ/15م،وذلك استنادا إلى تاريخ وفاته،حفظ القران الكريم في صغره كعادة أبناء المسلمين،ثم اعتكف على دراسة العلوم العربية الإسلامية اللغوية والدينية والعقلية والنقلية[1]حيث كان من المثقفين وأولى الفكر في عصره[2]غادر تلمسان إلى السودان الغربي في أواخر السبعينيات من القرن الخامس عشر ميلادي،وقصد واحات توات ووصل إليها في حدود عام1479م،واستقر بعض الوقت لدى أولاد يعقوب في واحة تمنطيط[3]ولا يعرف سبب انتقاله إلى الصحراء غير أن حملته على اليهود القاطنين بها في زمانه ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الظن بأنه وجد ضيقا في العيش بالشمال[4].

وقد وجد المغيلي في توات جالية يهودية طاغية بمالها وثرائها الفاحش حيث تحكموا في الساسة والقادة وتسلطوا عليهم وأخضعوهما لإرادتهم[5]الأمر الذي جعله يشن حملة عليهم([6])،فكانت له رسائل عديدة في محاربتهم وتخريب معابدهم وكسر شوكتهم[7] بعد توات قرر المغيلي التوجه إلى نحو بلاد السودان الغربي لما بلغه استعداد أمراءها لتقبل الدعوة وكانت شهرته كفقيه وعالم قد سبقته الى تلك الربوع[8] فوصل بلاد كاغو واجتمع بسلطانها اسكيا الحاج محمد[9]الذي استقبله بحفاوة وكرم وصار مستشارا سياسيا وفقيها له،وألف له المغيلي تأليفا أجابه فيه عن أسئلته التي طرحها وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية[10]،والملاحظ أن طرح أسئلة من طرف السلطان بهذه الجرأة على عالم مثل المغيلي يعطينا صورة عن نظرة الاسكيا محمد الكبير للعلماء وعن منحاه السياسي بشكل عام[11]حيث أثرت فيه دعوة المغيلي ومنهجه وحاول تجسيد ذلك على الميدان[1]وبالرغم

(1)يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص 63.
(2)محمد بن عبد الكريم المغيلي،المصدر السابق،ص 08.
(3)يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص 63.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت..**،المرجع السابق،ص 92.
(5)يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص 66-67.
(6)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت..**،المرجع السابق،ص 92.
(7)الشريف المليتي المديوني التلمساني ابن مريم،**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986م،ص 258-254.
(8)مطير سعد غيث،المرجع السابق،ص 267.
(9)محمد عبد الكريم المغيلي،المصدر السابق،ص 18.
(10)التلمساني،المصدر السابق،ص 255.
(11)محمد عبد الكريم المغيلي،المصدر السابق،ص 18.

من انه لم يمكث عند الاسقيين أكثر من عام واحد فقد كان له تأثير كبير هناك،ليرجعإلى توات ويواصل صراعه مع اليهود هناك بسبب قتلهم لابنه عبد الجبار[2]وبها وافته المنية سنة 909هـ/1503م عن عمر يناهز المائة عام[3].

**2-محمد بن عيسى بن علي التلمساني:**

اشتهر بوضع كتاب حلل فيه شرب الخمر باعتبارها أنها تتخلل بالخل،يقال انه عرض كتابه شيوخه فأعجبوا بطريقة عرضة وتحليله قلت والخمر نجس لا تحل بالإجماعإلاإذا انقلبت الخمرة خلا بنفسها بدون فعل احد فتحل حينئذ باعتبارها خلا وليس خمرا[4].

**3-أبو القاسم التواتي(رحمه الله):**

وصل إلى تنبكت مع جماعة من علماء وشرفاء تاقيلات وسكن بالقرب من المسجد الكبير من جهة القبلة ليس بينه وبين داره إلى الطريق الضيق النافذ،حيث تتم إمامته،وكان الاسكيا محمد الكبير يصلي وراءه ويطلب دعائه،وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة وبقيت تقرأ فيه إلى عام 102هـ/1611م،ثم استبدلت بأخرى وحسب أمير المؤمنين الاسكيا محمد الكبير تابوتا فيه 60 جزءا من المصحف،على ذلك الباسع لاجل تلك الغنسة،توفي عام 983هـ/1517م[5].

**4-صالح بن محمد اندي عمر(رحمه الله):**

المعروف بالشيخ عمر،كان من أهل العلم والفضل وكان كلامه مسموعا لدى السلاطين[6]يشفع للمساكين عندهم ولا يردون شفاعته على كل حال[7]له شرح على مختصر خليل رحمه الله[8].

**5-الشيخ مخلوف بن علي صالح البلبالي(رحمه الله):**

---

(1)جعفري مبارك،المرجع السابق،ص 183.
(2)محمد عبد الكريم المغيلي،المصدر السابق،ص 06.
(3)احمد بابا التنبكتي **نيل الابتهاج...**،ج02،المصدر السابق،ص 266.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت ...**،المرجع السابق،ص 93.
(5)أبي عبد الله الطالب محمد أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي،**فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**،تح-محمد إبراهيم الكتاني،ومحمد حجي،ط01،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1981م،ص 96-97.
(6)محمد كنان ميغا،**مجلة قراءات افريقية**،المرجع السابق،ص 29.
(7)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت ...**،المرجع السابق،ص 93.
(8)احمد كنان ميغا،**مجلة قراءات افريقية**،المرجع السابق،ص 29.

كان رحمه الله يشتغل بالعلم على كبر على ما قيل فأول شيوخه العبد الصالح سيدي يحي بن عبد الله بن عمر محمد بن اقيت،قرأ عليه الرسالة،سافر إلى المغرب فاخذ عن أبي خازي،وغيره واشتهر بقوة الخطّ حتى ذكر عنه العجب في ذلك ودخل بلاد السودان دخل

تنبكت ليدرس هناك وقرأ بها ثم رجع إلى المغرب بمراكش فمرض ورجع الى بلده،وتوفي بعده 940هـ/533م[1].

**6-عبد الرحمان بن علي بن احمد القصري(رحمه الله):**

هو عبد الرحمان بن علي احمد القصري ثم الفاسي،ولد بمدينة القصر الصغير على البحر الأبيض المتوسط تتلمذ على يده أشهر علماء المغرب منهم المنجور،واخذ علم الحديث بمصر عن أصحاب ابن حجر كالقلقشندي وغيره وضبط فحصل له رواية واسعة لم يحصلها من الفاسيين،ثم رحل إلى بلاد السودان ودخل بلاد كانو وغيرها،حيث أكرموه مالا كثيرا ثم رجع إلى فاس سنة 92هـ/ 1518م،واهتم برواية الحديث وتدريسه حيث كان يدرس الموطأ والكتب السنية،توفي سنة 959هـ/1549م على نحو 86 سنة[2].

**ب-ابرز العلماء المحليون الذين رحلوا طلبا للعلم:**

من العلماء السودانيين الذين رحلوا في طلب العلم إلى مصر،فاس وتلمسان وغيرها من المراكز الإسلامية في المغرب والمشرق،ثم عادوا إلى بلادهم بعد أن تعلموا من العلوم والمعارف المزدهرة في تلك البلاد وأصبحوا علماء كبار[3]ومنهم:

**1-أبو العباس احمد بن محمد اقيت:**

جد الشيخ احمد بابا التنبكتي كان فقيها، لغويا، نحويا وعروضيا محصلا اعتنى بالعلم طول عمره،حافظا على الفقه،من أهل الخير والعلم والدين،محبا للرسول "صلى الله عليه وسلم" ،كتب عدة كتب بخطه وترك نحو 700 مجلد،رحل إلى المشرق عام 890هـ/1485م،وحج ولقي السيوطي ثم رجع إلى بلاده للتعليم،فاخذ عنه جماعة منهم

(1)احمد بابا التنبكتي،ذيل الابتهاج...،ج02،المصدر السابق،ص 304.
(2)احمد بابا التنبكتي،ذيل الابتهاج...،ج02،المصدر السابق ص 290.
(3)عبد الحميد جنيدي،مدينةتنبكت...،المرجع السابق،ص94.

أخوه الفقيه القاضي محمود كعت بن عمر الذي قرأ عليه المدونة وغيرها[1]وكان قاضيا في تنبكت وعلى أهل ولاتة،توفي عام 942هـ/1535م[2].

**2-محمود بن عمر بن محمد اقيت(رحمه الله):**

وهو صنهاجي من علماء تنبكت[3]يكنى بابي الثناء وأبي المحاسن[4]،ولد بتنبكت سنة 1463م،ولي القضاء فيها سنة 904هـ/1498م،واشتهر بعدله،وكان ملازما للتدريس[5] يدرس أمهات الكتب المالكية وألفية ابن مالك[6]سافر إلى الحج عام 915هـ،فلقي إبراهيم المقدسي والشيخ زكرياء والقلقشندي وكثير من العلماء وبعد عودته لازم التدريس خمسين سنة وواصل أولاده من بعده وهم محمد العاتب وعمر وعبد الرحمان[7].

**3-الحاج احمد بن عمر بن محمد اقيت(رحمه الله):**

كان اكبر الإخوة الذين عرفوا بالعلم في تنبكت،وصفه احمد بابا بأنه كان فقيها نحويا لغويا،عروضيا وحافظا معتنيا بتحصيل العلم وانه كتب عدة دواوين،وعمل في القضاء بتنبكت ثم ارتحل إلى المشرق برسم الوراثة والحج،وبعد عودته تفرغ للتدريس توفي سنة 1526م[8].

**4-أبو بكر بن محمد بن عمر بن محمد اقيت(رحمه الله):**

ولد بتنبكت سنة 932هـ/1526م[9]،وكان رجلا زاهدا ورعا كما يخبرنا عنه احمد بابا ارتحل إلى المدينة المنورة فحج وجاور ثم رجع لبلاده فبقي أربعة أشهر ثم ارتحل بأولاد هو عياله للمدينة فبقي فيها إلى أن مات فاتح عام 991هـ/1583م،وقد قرأ عليه احمد بابا العربية[10].

---

(1)احمد باب التنبكتي،**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**،02ج،تح-محمد مطيع،،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،2000م:ج01،ص 132-133.

(2)احمد بابا التنبكتي،**نيل الابتهاج...**،ج02،المصدر السابق،ص 308.

(3)الأمين محمد عوض الله،المرجع السابق،ص 204.

(4)احمد بابا التنبكتي،**نيل الابتهاج...**،ج02،المصدر السابق،ص 303.

(5)لامين محمد عوض الله،المرجع السابق،ص 204.

(6)محمد كنان ميغا،**مجلة قراءات افريقية**،المرجع السابق،ص 29.

(7)لامين محمد عوض الله،المرجع السابق،ص 204.

(8)محمد كنان ميغا،**مجلة قراءات افريقية**،المرجع السابق،ص 29-30.

(9)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 95.

(10)الأمين محمد عوض الله،المرجع السابق،ص 205.

**5-احمد بن احمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحي(رحمه الله):**

ولد في الفاتح من محرم عام 929هـ/1522م،وهو والد احمد بابا التنبكتي وصف بأنه كان ذكيا مدركا محدثا منطقيا،له نفس طيبة ومن شمائله أيضا تواضعه وحبه لأهل الخير،عادل في أحكامه[1]ذهب في رحلته إلى الشرق سنة 956هـ/1549م،فحج وزار واجتمع بنخبة من العلماء منهم الناصر اللقاني والشريف يوسف السيوطي تلميذ الأسيوطي،ابن حجر المكي وعبد المعطي الخاوي وغيرهم،وبعد رجوعه اشتغل بالتدريس فترة قصيرة،ألف عدة كتب منها شرح منظومة المغيلي في المنطق،علق صغري السنوسي[2] توفي رحمه الله سنة 955هـ/1548م[3].

**6-محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (رحمه الله):**

عرف ببغيغ ولد عام 930هـ/1523م،وكان مصلحا وخيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين،طبعت نفسه على حب الخير،وعن النية وسلامة السريرة[4]،وقد عد هذا العالم حجة الإسلام في السودان الغربي قال عنه احمد بابا:"...درس على أبيه العلوم العربية والفقه،ثم ارتحل إلى المشرق،وحضر مجالس العلم بمصر حيث تتلمذ على يد أشهر العلماء من أمثال الناصر اللقاني،التاجوري والبكري وبعد الحج رجع إلى تنبكت بعلم كثير،ثم تابع دراسته في الفقه والحديث..."،وقال عنه أيضا:"...حتى صار في آخر الحال شيخ وقته في الفنون،لا نظير له لازمته أكثر من عشرين سنة..."[5]،أورد احمد بابا بأنه سمع بوفاة بغيغ وهو في مراكش يوم الجمعة من شهر شوال عام 1002هـ/1543م[6].

**جـ-مؤرخو مدينة تنبكت:**

**1-المؤرخ عبد الرحمان السعدي الحاج المتوكل (رحمه الله):**

---

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري...،ص 212.
(2)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري...،ص 112-113.
(3)احمد بابا التنبكتي،نيل الابتهاج...،ج02المصدر السابق،ص 304.
(4)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري...،المرجع السابق،ص 217.
(5)محمد كنان ميغا،مجلة قراءات افريقية،المرجع السابق،ص 29.
(6)احمد بابا التنبكتي،نيل الابتهاج...،ج02،المصدر السابق،ص 602.

هو عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي رحمه الله،ولد في غزة جمادى الأخر[1]سنة 1004هـ/1596م في تنبكت،تلقى فيها العلم على يد الشيخ الفقيه المالكي احمد بابا التنبكتي وغيره من علماء وفقهاء المدينة،وبعد ذلك اشتغل بالدعوة والإرشاد في عدة مناطق وجهات من السودان الغربي،وفي سنة 1526م عين إماما في مسجد سنكورة بجني،واستمر في ذلك قرابة عقدين من الزمن،ثم استدعاه الباشا محمد بن عثمان حاكم تنبكت عام 1546م،وعينه ناظرا لخارجيته حيث سمح له ذلك المنصب بالتنقل بكثرة في أنحاء مملكة الصنغاي لعلاج المشاكل والقضايا،وقد أفاده ذلك في تأليف كتابه التاريخي المشهور عن بلاد السودان[2]،وقد استطاع الفراغ منه في ذي الحجة 1069هـ الموافق لـ 27اكتوبر1653م،سماه "تاريخ السودان"[3]وتناول فيه الأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الممالك السودانية في الغرب الإفريقي[4]،ذكر في مقدمته أسباب تأليفه،كما تحدث عن أستاذه الوانلوري وقال عنه:"...لقد تعلمت منه الكثير وأجاز لي كتبا قرأتها عليه،بخط يده وأهديت له بعض المصنفات التي ألفتها بمساعدته..."[5].

وقد قام السعدي في العديد من المرات بالتوسط بين أمراء المنطقة الأمر الذي اكسبه خبرات واسعة بالإضافة إلى توطيد علاقته مع العديد من حكام المنطقة[6]،توفي السعدي عام 1066هـ/1655م وبعد وفاته بمدة قام حفيده الأمير محمد بن سودو من تنبكت 1164هـ/1701م،بإكمال كتابه وأرخ للولاة والباشاوات المغاربة الذين حكموا تنبكت والصنغاي وسمي كتابه "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان نشره هوداس عام 1899م[7].

(1)عصمت عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 27-29.
(2)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 165
(3)عبد الرحمان عمر الماحي،الدعوة الإسلامية في إفريقيا،ط01،لديوان الوطني للمطبوعات الجامعية بن عكنون،الجزائر،1996م،ص 115.
(4)عثمان باري برايما:جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي،ط01،دار الأمين للنشر والتوزيع،القاهرة،2000م،ص 28.
(5)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص -165.166.
(6)البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص 176.
(7)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص -165.166

**2-احمد بابا التنبكتي(رحمه الله):**

وهو احمد بابا الفقيه بن الحاج احمد بن الحاج احمد بن عمر بن محمد اقيت بم عمر بن علي بن يحي...رحمهم الله،فهو ينحدر من عائلة اقيت المثقفة والمشهورة بالعلم والثقافة والتدريس[1].ولد الفقيه احمد بابا في 21 ذي الحجة 963هـ الموافق لـ 26أكتوبر1456م[2]وهو معروف باسم احمد بابا،ويضيف المؤرخون لاسمه الصنهاجي أوالمسوفي أو السوداني أوالماسيني أو التنبكتي أوالتكروري،وقد استخدمت ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي والمسوفي[3].

درس احمد بابا العلوم الإسلامية على يد أبيه وجده وكثير من أفراد أسرته[4]،فاق جميع معاصريه باجتهاده في خدمة العلم،حيث لا يناظره في العلم إلا أشياخه،وشهدوا له بالعلم،واشتهر في الغرب أمره وانتشر ذكره وسلم له علماء الأمصار في الفتوى وكان وقوفا عند الحق ولو كان من أدنى الناس[5]وقد كان لحمد بابا احد العلماء البارزين في منطقة السودان الغربي والأوسط[6] الذين حصلوا على ثقافتهم الإسلامية في جامعة سانكوري التنبكتية،ولما غزا المغاربة تنبكت رفض احمد بابا الاعتراف باحتلالهم،فقبض عليه وعلى أفراد أسرته واقتيد إلى مراكش عام 1593م،ولقد في هذا الحادث ستمائة ألف مجلد،كما سقط عن ظهر جمل إبان رحلته فكسرت ساقه ثم أطلق سراحه بعد عامين على أن يغادر قصبة مراكش،فانقطع للتعليم في جامع الشرفاء وكان يسمع لدروسه خلق كثير كما كان يعهد إليه بالإفتاء[7].

حيث اكتسحت شهرته منطقة شمال غرب إفريقيا بطولها وعرضها خاصة في السودان الغربي والأوسط،ثم عاد إلى مسقط رأسه في تنبكت في 26 فيفري 1606م[8]بعد أنأذن له له ولي السلطنة مولاي زيدان بالعودة مع من بقي من أسرته إلى تنبكت فعاد إليها وكرس

(1)البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص 17.
(2)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 161.
(3)دندش عصمت عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 65.
(4)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري...،المرجع السابق،ص 221.
(5)البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص 17.
(6)ويشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطى...انظر يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 27-28.
(7)السعدي،المصدر السابق،ص 34-37.
(8)عصمت دندش عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 27-28.

حياته لتعليم الفقه[1]توفي عام 1036هـ/1627م عن عمر يناهز 77 عاما وترك وراءه مكتبة مهمة[2]حيث قدرت مؤلفاته بأكثر من أربعين كتابا من بينها مجموعته الشهيرة"تطريز الديباج" الذي ألفه عام 1596م،عندما كان معتقلا في مراكش[3]،ويقول البرتلي في كتابه"فتح الشكور":'...كان احمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام الحسن،حسن التصنيف،كامل الحفظ من العلوم فقها وحديثا وأصولا وتاريخا... للاهتداء لمقاصد العلماء مثابرا على التقييد والمطالعة مطبوعا على التأليف،ألفتوا ليف مفيدة جامعة فيها أبحاث عقلية ونقليه...'[4].

**3-القاضي محمود كعت(رحمه الله):**

هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت[5]ولد الشيخ محمود كعت عام 873هـ/1468م،حسب رواية الشيخ عبد الرحمان السعدي بمدينة تنبكت ونشا بها[6]،حفظ بها[6]،حفظ القران الكريم وتعلم علوم اللغة العربية والفقه والحديث والتفسير والتاريخ على على يد والده في تنكبت ثم هاجر إلى مصر ثم زار البقاع المقدسة[7]،وقد عاش محمود كعت أيام الاسقيا الحاج محمد الكبير،وألف كتابه "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور"[8]وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار خلال القرن السادس عشر[9].

كان فقيها زاهدا تقلد شؤون القضاء فأحبه الاسكيا محمد الكبير وقربه إليه واختاره من بين العلماء الذين رافقوه في رحلته الشهيرة إلى الأراضي المقدسة سنة 902هـ/1496م،ليصبح بعدها من اقرب مستشاريه فعينه الكاتب الخاص له،وحتى لبعض

(1)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 222.
(2)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 16.
(3)عصمت عبد اللطيف دندش،المرجع السابق،ص 27.
(4)البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص 33.
(5)محمود كعت،المصدر السابق،ص 09.
(6)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 159.
(7)عبد الرحمان عمر الماحي،المرجع السابق،ص 133.
(8)مشتقة من الفعل تكرر أي تتقى بمعنى أن مشاعرهم الدينية تنقت وتطهرت بحفظ القران الكريم والحج،ويطلق هذا الاسم على الزنوج القادمين من الغرب مهما اختلفت أوطانهم...انظر شوقي عبد القوي عثمان،**التجارة بين مصر وإفريقيا فيعصر** الصماليك،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2000م،ص 53.
(9)عبد القادر زبادية،الحضارة العربية...،ص 83.

خلفاءه من الاساكي من بعده،مما أتاح له الاطلاع على الكثير من خفايا الأمور في السلطة الاسقية،حيث أرخ لها في كتابه تاريخ الفتاش الذي سبق ذكره[1].

عاش محمود كعت أحداث السنتين الأوليتين للغزو المغربي وتوفي سنة1002هـ/1593م،وأكمل بعض أحفاده أحداث السنوات الستة بعد ذلك التي سجلت بالكتاب[2].

**ثالثا: القضاء والقضاة**

تميز القضاء في العصر الوسيط في ممالك السودان الغربي،بعدم الانفصال عن الدين الإسلامي،وكان احد مظاهر الثقافة العربية في المنطقة وقد تطور القضاء[3]في شكله البسيط في أواخر حكم مملكة غانا[4]فكانت كومبي[5]المركز الوحيد للقاضي في تلك البلاد،غير أن القضاء تطور نوعا ما في دولة مالي بسبب نشأة المدن التجارية والثقافية كتنبكت،جني وغاو وبنيت بها المساجد،وكثر بها التجار العرب والفقهاء القادمون عن بلاد المغرب حيث وجد القاضي في العاصمة وفي المدن الكبيرة والهامة[6].

فمنسا سليمان لما وصل إلى الحكم تولى بنفسه تعيين قضاة بلده كما كان يحضر أحيانا مجلس القضاء ليشاهد كيف يقضي قاضي القضاة[7].

أما في عهد الاسقيين فقد كان القضاء احد حقوق السلطان،فالاسكيا محمد الكبير بصفته أمير المؤمنين يفوض لتولي شؤون القضاء ممثلين مستقلين تمام الاستقلال عن السلطة

---

(1)محمود كعت،المصدر السابق،ص 54.

(2)يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص 160.

(3)معناه القطع يقال قضى الشيء إذا قطعه وبأتي بمعنى العمل ومنه قوله تعالى:"...فاقض ما أنت قاض"سورة طه الاية 24،ويسمى القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم...انظر القلقشندي،ج05،المصدر السابق،ص 541.

(4)هي أول إمبراطورية قامت بالسودان الغربي وكانت مزدهرة جدا والدليل على ذلك هو بقائها إلى القرن السابع هجري،الثالث عشر ميلادي والدليل على قدرة الإفريقيين في تدبير شؤونهم بأنفسهم...انظر أبو عبد الله شريف الإدريسي،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**،ج1،مجلدات مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،د.ت،ص 23.

(5)تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت بحوالي 5000كم،ويرجع تأسيسها إلى عهد حكومة البيض الأولى ويقال أنها بنيت عام 300م،تبعد عنها اوداغست شمالا بحوالي 350كم...انظر عصمت عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 111.

(6)نعيم قداح،المرجع السابق،ص 171.

(7)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السبق،ص 67.

المركزية أو عن أي موظفيها[1] وذلك بمساعدة قاضي القضاة أو قاضي الجماعة بتنبكت واستمر الأمر على هذا النهج في عصر الباشاوات[2].

ويعتبر قاضي تنبكت قاضي الجماعة أو قاضي القضاة بتنبكت حيث لا يتم تعيين قضاة المدن الأخرىإلا بالرجوع إليه واستشارته[3]حيث كان قاضي تنبكت له صلاحيات أكثر من زملائه في المناطق الأخرى في إقالة أي احد منهم،دون الرجوع للسلطان إذا ما رأى منه عدم الاستقامة في تصرفاته أو أحكامه،معنى هذا أن قاضي تنبكت له مميزات تختلف عن بقية قضاة المدن الأخرى،وربما يرجع ذلك إلى الجانب الروحي الذي تختص به تنبكت غيرها من مدن السودان الغربي،والذي قال فيها صاحب السعادة الأبدية:"مقامها من السودان مقام الوجه من الإنسان"[4].

على أن خطورة هذا المنصب جعل كثيرا من علماء السودان يرفضون أو يعنفون عن توليه،ويتدافعون فيما بينهم أحيانا[5]ولم يكن احد يتسلم منصب القضاء أن لم يكن أهلا لصعوبته أو خوفا من غضب الله"عز وجل"،فقد كان أهل التقوى والورع من العلماء والفقهاء في المنطقة يزهدون عن توليه ويعتبرونه كارثة عارهم،خشية تدخل الحكام الاسكي في إصدار الأحكام القضائية في بعض الأحيان،الأمر في بعض الأحيان،الأمر الذي يتنافى مع شخصيتهم الإسلامية ومع مهنة القضاء النبيلة وخوفا من العقاب الرباني من جراء إصدار حكم جائر[6].

غير أن الكثير من العلماء والفقهاء قد تعرضوا لضغوط الحكام الاسقيين واضطروا في أخر المطاف لتولي شؤونه[7]حيث رفض محمود بغيغ طلب الاسكيا داوود الذي اسند إليه منصب القضاء[8]ورفض أهل بيته كذلك لهذا الطلب[9]وعند شغور منصب القضاة،حيث

(1)سينكي مودي سيسوكو،المرجع السابق،ص 213.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 308-309.
(3)احمد بيغا،المرجع السابق،ص 221.
(4)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الاقتصادي...**،المرجع السابق،ص 137.
(5)احمد بيغا،المرجع السابق،ص 209.
(6)نعيم قداح،المرجع السابق،ص 172.
(7)محمود كعت،المرجع السابق،89.
(8)نفسه،ص 344.
(9)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ الحضاري...**،المرجع السابق،ص 344

بقي شاغرا سنة ونصف في مدينة تنبكت[1]ابتداء من 17 شعبان 991هـ/1589م بعد وفاة وفاة القاضي العاقب،اكره الاسكيا الحاج القاضي أبا حفص عمر بن محمود اقيت على تولي هذا المنصب بعد رفضه المتواصل له،حيث كتب له وبطلب من الفقيه الحاج تكن أن يوليها لجاهل إذا لم يتولاها[2] قائلا:"...ولما طال الحال بعث الشيخ المبارك الفقيه لاسكيا الحاج،سرا أن يكتب له إذا لم يقبلها يوليها لجاهل،فكل ما حكم به لا يسال به الله تعالى سبحانه إلا إياه غدا بين أيديه،فلما قرأ الكتاب بكى وقبل ...في آخر يوم من المحرم فاتح سنة ثلاثة وتسعين وتسعمائة ومكث فيها تسع سنين كاملا..."[3].

وهناك إمكانية الجمع بين الإمامة والقضاء فمثلا القاضي محمود كعت بن عمر اقيت حين أراد الحج في عام 913هـ/1507م،استخلف في الإمامة خاله الفقيه المختار النحوي،وفي القضاء القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر بأمر من الأمير اسكيا الحاج محمد[4].

وحتى يكون القاضي أهلا بأمور القضاء يشترط فيه أن يكون عالما، فقيها، ورعا ومتحليا بالنزاهة،لما لهذا المنصب من إخفاء للحق بين الناس ولم يشترطوا العلم في بادئ الأمر حيث كان القضاة من العرب،ولما ازدهرت الحياة العلمية على عهد الاسقيين وكثر المثقفون الذين درسوا في مختلف حواضر العالم الإسلامي خاصة في فاس والقاهرة اشتغل قسم منهم بالقضاء والخطابة والإمامة والتعليم...الخ[5].

ومن مهام القضاة الفصل في الأمور التي تتعلق بحياة الناس اليومية من طلاق،زواج،ديون وقروض...[6]ولا تتوقف مهنة القاضي على القضاء فقط،بل قد يكون مستشارا للخليفة ويشرف على بعض مشاريع الدولة من بناء المساجد وترميمها،كما سبق ذكره وبناء المدارس،ويتولى منصب قضاة المدن الصغيرة والقرى[7]إذ يقول محمود كعت كعت في ذلك:"...تنبكت يومئذ ليس فيها حكم إلا حكم متولي الشرع،ولا سلطان فيها

(1)احمد بيغا،المرجع السابق،ص 219.
(2)البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص 178.
(3)السعدي،المصدر السابق،ص 118.
(4)عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 102.
(5)نعيم قداح،المرجع السابق،ص 122.
(6)الهادي المبروك الدالي،التاريخ الحضاري...،المرجع السابق،ص 136.
(7)احمد بيغا،المرجع السابق،ص 221.

والقاضي هو السلطان وبيده الحل والربط..."[1]فالقاضي محمود بن عمر بن اقيت،عاقب رسل اسكيا الكبير وطردهم من تنبكت بسبب تعديهم للحدود الشرعية[2]،أما عن مصاريف القضاة فقد كانت أموال الأوقاف من أهم المصادر لأغلب احتياجات القاضي وكان يتولى الإشراف عليها وتسييرها من خلال مساعدين يعينهم بنفسه[3]كما كان يدفعها الملك من الخزينة وفي رواتب محترمة[4].

والقاضي يعاقب المجرم حسب الجرم الذي اقترفه،فالرجل الذي يمشي بالنميمة بين الناس عقابه هو أن ينقش عليه بالحمرة والسواد والبياض ويركبونه حمارا ويطوفون به المدينة وهم ينادون هذا جزاء من يسعى بالنميمة[5]وهذا ما حدث للمدعو "سعيد بن عمار"عندما اتهمه الاسكيا إسحاق بأكل أعراض الناس وهذا في عهد الاسكيا محمد الثاني،إما في عقوبة السرقة صدرت أحكام غريبة عن الشريعة الإسلامية،كقطع إذن السارق ويكون هذا القطع حسب درجة السرقة،فهناك من تخرم أذنه أو يقطع ثلثها أوكلها،وإذا زاد الجرم تقطع الأذنان معا[6]،أما القاتل العمدي والزاني فعقوبتهما حكم الإعدام والحكم بالخنق حتى الموت أو قطع الرأس[7].

(1)محمود كعت،المصدر السابق،ص 179.
(2)نفسه،المصدر السابق،ص 61.
(3)حسن الوزان،ج02،المصدر السابق،ص 167.
(4)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 103.
(5)السعدي،المصدر السابق،ص 90.
(6)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 139-141.
(7)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 103.

# الفصل الرابع
# تنبكت في العهد المغربي السعدي

أولا:حملة احمد المنصور الذهبي:

1-أسباب الحملة:

أ-الأسباب الدينية:

1-لقب أمير المؤمنين

2ـ-توحيد المسلمين بغرب إفريقيا.

3ـ-الجهاد كعامل أساسي.

بـ-الأسباب الاقتصادية:

اـ مشكلة تغاز.

جـ-السبب المباشر.

2-التحضير للحملة والغزو

ثانيا:مراحل الحكم المغربي بتنبكت:

1-المرحلة الأولى(1591-1612)م.
2-المرحلة الثانية(1612-1660)م.
3-المرحلة الثالثة(1660-1780)م.

ثالثا:قضاة وأئمة مسجد الجامع الكبير بتنبكت في العهد المغربي:

1-القضاة.

2-الأئمة.

**أولا : حملة احمد المنصور الذهبي :**

**1-أسباب الحملة :**

**ا-الأسباب الدينية :**

**1-لقب أمير المؤمنين :**

تتمثل في لقب أمير المؤمنين خاصة بعد أن اتخذ الأسكيا الحاج محمد هذا اللقب الذي أصبح مصدر قلق للسعديين،حيث كانوا يرون أن هذا اللقب حق لهم وحدهم في المنطقة،لأنهم سلالة الدولة النبوية الشريفة،وليس في إفريقيا والمغرب وبلاد السودان،ولكن في كل العالم الإسلامي.(1)

حيث اعتبروا أن اتخاذ الأسكيا لهذا اللقب منافسة لهم في الزعامة الروحية بإفريقيا،وانه بذلك يتعدى مركزهم الروحي والسياسي،بل أكثر من ذلك رفضوا الدعاء للسلطان العثماني بالخلافة،نظرا لذلك كان السعديون يعتبرون حاكم سنغاي معزولا شرعا ولم يوافق الدخول في طاعاتهم والاعتراف بخلافاتهم .(2)

**2-توحيد المسلمين بغرب إفريقيا :**

كان المنصور يهدف من وراء هذه الحملة إلى توحيد كلمة المسلمين في غرب إفريقيا،وتوحيد قواتهم للوقوف صفا واحدا أمام الهجمات الخارجية التي يمكن أن يقوم بها الأسبان بصفة خاصة،أو غيرهم من الأوروبيين الذين كانوا يتربصون ببلاد السودان،وذات السواحل الإستراتيجية التي تتحكم في طريق الهند البحرية،هذه المنافسة تظهر في قولهم : "بدلا من ترك هذه الخيرات للمنصور..." و نتبين من ذلك : "...نذكرهم بمفروض طاعتنا والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين من مبايعتنا و الأئتمام بشريف إمامتنا...وتمتثل أوامره الشريفة فيما افترض الله لهذه الخلافة النبوية من السمع والطاعة ...والانخراط بمبايعتنا في سلك الجماعة..."(3)

---

(1) عبد الفتاح عقيمي،**موسوعة التاريخ الإسلامي**،ج3،ط1،القاهرة،1994م،ج05،دراسة في التاريخ الإسلامي(بني حفص وبني زيان وبني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين)،ص: 204.

(2) أبو القاسم الزياني،**جمهرة النيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر ملوك وأشياخ السلطان موسى**،تر-محمد بيضون،د-ط،بيروت،2003م،ص 45.

(3)محمد رزوق ،**العلاقات العربية الإفريقية في القرن 16م**،مجلة البحوث التاريخية،مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي،1985،ص 100.

3-الجهاد كعامل أساسي للحملة :

هذه العوامل كلها عندما تجتمع تصب في عامل واحد وهو عامل الجهاد،الذي يركز عليه المنصور في رسالته إلى الاسكيا إسحاق الثاني :"...وقصدنا بما يحصل من ذلك صرفه إنشاء الله في سبيل الغزو والجهاد...من العساكر والأجناد التي جعلناها لنكاية عدو الله بالمرصاد،واعتدناها للذود عن حملة الإسلام و حياطة البلاد والعباد..."[1].

كل ذلك يمكن مقارنته بما اخبرنا به محمود كعت والسعدي من فساد أخلاقي،بل نستطيع القول من خلال عبارة السعدي :"...بدلوا نعم الله كفرا..." حيث أن بعض الأهالي ارتدوا عن الإسلام فعامل الجهاد يبرز أهمية الدور المغربي في المنطقة من خلال أن عملية الغزو من ضمن المهام المنوط بها دينيا وجغرافيا،حيث كانت هذه العملية كرد فعل مباشر ضد سقوط الأندلس،وما كان يعانيه ما تبقى من المسلمين هناك،لذلك فلا غرابة أن نرى وقوف الأندلسيين المطرودين والسعديين صفا واحدا لإنقاذ بلاد السودان وإعادة تركيز الإسلام به[2].

ب-الأسباب الاقتصادية :

أ-مشكلة تغاز:[3]

فقد كانت السيطرة عليها تكمن في السيطرة على الصحراء مادام الملح يباع ويشترى ويستبدل بالذهب ويستعمل كعملة مهمة في الصحراء لمبادلة البضائع خاصة إذا علمنا أن انتمائها الجغرافي يرجع للأقوى،لذلك كان هناك تضارب بين المؤرخين في انتمائها فمنهم من يضعها اقرب إلى مراكش منها إلى نهر النيجر[4]وهناك من يضعها تتوسط بينهما.[5]

---

(1)غربي الحواس،**السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591م-1660م)**،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 2008-2009،ص 35.

(2) محمد رزوق،المرجع السابق،ص95.

(3)تقع جنوب المغرب الأقصى بقرب المحيط شرق الأقاليم الصنهاجية تتوسط الطريق الرئيسي بين تنبكتو ودرعة بالمغرب وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح الذي يباع ويشترى بالذهب...انظر ابن بطوطة،المصدر السابق،ص 108-109.

(4)احمد شلبي،**موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،08ج،القاهرة،1998م ،ج06،ص 171.

(5)حسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص 108-109.

أو تقع على حدود مراكش[1]وهناك من يضمها إلى بلاد السودان منذ أيام إمبراطورية مالي ففي عهد احمد الأعرج[2] حيث راسل هذا الأخير الاسكيا إسحاق الأول يطالب منه التنازل عن ممالح تغاز،غير أن إسحاق الأول كان في هذا الوقت في أوج قوته ورد عليه بالقول والفعل بان احمد الذهبي سمع ليس إياه وان إسحاق الذي سمع ليس هو إياه[3]وعليه ينتظر احمد أقوى وإسحاق اضعف وذلك الذي حدث فعلا يتوقف احمد المنصور على إسحاق الثاني في عام 1591م،وليؤكد قوته أرسل حملة عسكرية في ألفين من ركاب الجمال الطوارق.[4]

كانت هذه الحملة العسكرية التي بعثها احمد المنصور تحمل تعليمات بعدم التنقل للإغارة على أخر بلد درعة[5]التابعة للمغرب،فأكلوا كل ما وجدوه في احد الأسواق.[6]

كما جهز محمد الشيخ في عهده(1544-1557م) الذي حكم بعد أخيه احمد الأعرج حملة عسكرية (1556-1557م) استولت على تغاز،وقتلت رئيس الممالح وعدد من الطوارق فكان رد فعل الاسكيا داوود مقاطعة ممالح تغاز واختيار سكان أخر يسمى تغاز الغزلان[7]ذلك سنة 1562م.[8]

واصل احمد المنصور[9]في عهده من سبقوه فبعث للاسكيا داوود بشان تغاز،هذا الأخير الأخير كان رده بعث هدية من عشرة آلاف ذهبت لأحمد المنصور[10]فكان ذلك على

(1)فيج.جي دي،المرجع السابق،ص67.
(2)غربي الحوامن،المرجع السابق،ص 28-29.
(3)السعدي،المرجع السابق،ص 99.
(4)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 99.
(5)وهي مدينة صغيرة من جنوبي المغرب،تقع غرب سجلماسة بنحو سبعة مراحل والمرحلة هي مسافة سير يوم وليلة..انظر البكري،المصدر السابق،ج2،ص 845-646.وشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي،**معجم البلدان**، ،بيروت،1977م،ج05،ص 451.
(6)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي في عهد الاسقيين...**،المرجع السابق،ص 88.
(7)غربي الحوامن،المرجع السابق،ص 88.
(8)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السابق،ص 88.
(9)هو أبو العباس احمد بن أبي عبد الله محمد المهدي،ولد بفاس سنة(956ه/1549)يصل نسبه حسب ابن القاضي إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،تولى حكم الدولة السعدية بعد معركة واد المخازن أو الملوك الثلاثة(986ه/1578)،لقب بالمنصور والذهب لوفرة الذهب واستعماله السكة بعد معركة واد المخازن أو بعد غزوه بلاد السودان عام 1591م..انظر غربي الحواس،المرجع السابق،ص 30.
(10)السعدي،المصدر السابق،ص 111.

أساس المحبة والمودة بينهما،حيث وضعا أساس علاقات صداقة بين الدولتين،حيث يتخلى السلطان السعدي على الممالح للاسكيا مقابل مقدار من المال معلوم[1].

لقد كان حزن المنصور على وفاة داوود 1981م،كبير فعزاه كبار أجناده كلهم،بعد ذلك تبادل الهدايا أيضا مع الاسكيا الحاج[2]في هذا الوقت قام المنصور بالاستيلاء على إقليمي إقليمي توات وتيكورارين القريبين نسبيا من بلاد السودان في 1583م-1584م،ثم غزا إلى جهة الجنوب الغربي ودان الحوض الحالية بموريتانيا،ومجرى السنغال،وقد تمكن من هذه المناطق وغنم منها،لكن لما صرح المنصور بأحقية ممالح تغاز،وطلب مالا مقابل اخذ الملح للاستعانة بهذا المال في أعمال الجهاد،رفض الأسكيون طلبه فوجه حملة سنة1586م،هذه الحملة مكنته من احتلال تغاز،فجاء رد فعل الاسكيين مقاطعة ملح تغاز واستغلال منجم أخر يبعد عن الأول بحوالي 150كلم إلى الجنوب عرف باسم تاوديني[3] وفي سنة1589م كان أخر طلب لتسليم الممالح حيث وجه المنصور رسالة للاسكيا إسحاق الثاني هذا الأخير أرفق صحبته جوابه كان عبارة عن حوذة عسكرية وسلاسل يكبح بها العبيد[4].

فمشكلة تغاز اعتبرها اغلب المؤرخين الدافع الرئيسي للحملة ثم إن التدهور الاقتصادي دفع السلطان السعدي الإعلان عن غزو توات عام 1583م،والحملة على غاو عام 1591م للبحث عن الذهب[5]لكننا نعرف أن ممالح تغاز معروفة لدى المغاربة وكذلك ذهب ونقارة[6] وبامبوك[7]معروف لديهم هو الآخر منذ زمن إمبراطورية غانا،فقد كان المغرب المغرب في تلك الفترة والفترات التي تلتها على درجة عالية من القوة تمكنهم من السيطرة على المنطقة بسهولة،وان المغرب كان في غنى عن الممالح بعد معركة وادي المخازن

(1)عمار بن خروف،المرجع السابق،ص 132-133.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 111.
(3)عمار بن خروف،المرجع السابق،ص 132-133.
(4)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي....**،المرجع السابق،ص 92.
(5)غربي الحواس،المرجع السابق،ص 36.
(6)تقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي...انظر الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 281.
(7)وتقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة باماكو بحوالي 300كلم...انظر المرجع نفسه،ص 282.

1577م، والتي غنم منها ما جعل السلطان احمد المنصور يلقب بالذهبي[1] فتغاز تعتبر ثروة تجارية هامة لا تنتمي لأي المنطقتين بل الجميع يستفيد منها،وان سيطرة إحداهما عليها يؤدي إلى التنازع حولها،لكن لما رأى المنصور انه أولى بالخلافة وضرورة توحيد المسلمين،وجب

عليه تنظيم الاقتصاد،أن ثبتت الأولى شرعا،ففرض عنها خراجا رفضه الاسكيا إسحاق الثاني،برد سلبي مثير[2]

**جـ-السبب المباشر :**

استنجد أخ الاسكيا إسحاق الثاني بأحمد المنصور للرجوع إلى العرش،ساعدت الظروف السلطان احمد المنصور،بوصول احد أفراد الأسرة الحاكمة في سنغاي إلى مراكش يطلب مساعدة عسكرية من المنصور للوصول إلى الحكم :"...ولد كرنفل وهو رجل من خدام أمراء سنغي غضب عليه الأمير اسكيا إسحاق وحضه على أخذ الأرض من أيديهم..."[3] "...كتاب أخيه...يطلب فيه الإمداد بالعساكر..."[4].

**2-التحضير للحملة والغزو :**

اشرف المنصور بنفسه على تحضير الحملة بكل ما يحتاجه الجيش من آلات الحرب من مدافع والعجلات التي تحملها،والبارود والرصاص،حيث بلغ عدد القوات المغربية حسب الروايات ما بين ثلاثة الاف(3000) جندي واثنين وعشرين ألفا(22000) جندي[5]. جندي[5].

هذه الحملة تتكون من الرماة والصناع والأطباء وأصحاب الخيل...تحت قيادة جودر باشا،وضم الجيش غالبية مسيحية من أصل أوروبي (أسبان،برتغاليون وأتراك) من أسرى

(1)المرجع نفسه،ص 198.
(2)عبد القادر زبادية،**مملكة سنغاي...**،المرجع السابق،ص 92.
(3)السعدي،المصدر السابق،ص 137.
(4)عبد العزيز الفشتالي،المصدر السابق، ص 124.
(5)هناك من يقدرها ب 6000 جندي...،انظر السعدي،المصدر السبق،ص 138 زمنها ما يقدرها ب 4000 جندي انظر محمود كعت،المصدر السبق،ص 146،أما الناصري فيقدرها ب 22000 جندي...انظر الناصري أبو العباس احمد بن خالد الناصري،**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**،تر جعفري الناصري ومحمد الناصري، ،دار الكتاب الدار البيضاء،1955م،ج05،ص 21.

حرب السعديين،فمن خلال هدا كله نلاحظ أن عدد المغاربة في الحملة لا يتعدى ألف وخمسمائة(1500) مقاتل وبذلك تم استخدام اللغة الاسبانية بين أفرادها[1].

غادرت الحملة البلاد أواخر سنة 1590م،وسلكت طريقا عرف بطريق جودر وهذا الطريق يتجه من مراكش نحو لاكتور في أعالي وادي درعة ومنها إلى تندوف ثم نقارة التي تليها تاوديني التي تقع على نهر النيجر غربي العاصمة تنبكتو،قطع الجيش تلك المسافة في حوالي شهرين على الأقل وأصابه خلال السير الجوع والعطش فمات بسبب ذلك ثلثا الرجال ولم يبق إلا ألف رجل[2] وفي فبراير 1591م وصل جودر مع جيشه إلى نهر النيجر عند قرية لوبر واقتربوا من العاصمة غاو،غيرا ن أهل سنغاي لم يستعدوا للحرب ولم يأخذوا احتياطاتهم اللازمة ضنا منهم أن الجيش المغربي لا يمكنه أن يتجاوز الصحراء،مما سهل الأمر على المغاربة وزحف جودر على غاو[3]واستعد إسحاق الثاني وحشد لهم من أمم السودان مائة ألف ومن الطوارق أربعة آلاف،وكانت أسلحتهم السيوف والرماح والحراب[4] والتقى الجيشان في تنديبي[5].

استمرت المعركة من الضحى إلى العصر،ولم يصمد جيش سنغاي وانهزم بسرعة فائقة نتيجة قلة التدريب والأسلحة الضعيفة،وظل بعضهم يضرب برماحه حتى انتهى على اخره ونجى منها إسحاق الثاني بنفسه وقليل من حاشيته[6]،فبعد هدا النصر السهل للباشا جودر دخلت القوات المغربية[7] وتمكنت احتلالها يوم 20 رجب 999ه/23 ماي 1591م[8].

هؤلاء الجنود نهبوا منازل المدينة ودخلوا قصر غاو في اعتقادهم العثور على أكوام من مسحوق الذهب،والثروة من أي نوع،لكن أصيبوا بخيبة أمل كبيرة[9] حيث لم يجدوا

(1)السعدي،المصدر السابق،ص 138.
(2)محمود كعت،المصدر السابق،ص 125.
(3)مرزقلان لعملري،المرجع السبق،ص 34.
(4)الحواس غربي،المرجع السابق،ص 43.
(5)تقع شمال العاصمة غاو بحوالي 30 كلم وقد وصف الاستاذ مبروك الدالي ارض المعركة بانها منبسطة تتخللها أحواض...انظر المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 204.
(6)محمود كعت ،المصدر السابق،ص 147-148.
(7)البفراني.**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**.تح-هوداس.باريس.1988م.ص 94.
(8)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 113..
(9)البفراني،المصدر السابق،ص 94.

في القصر سوى إمدادات من الأرز والعسل وكانوا يتوقعون بان يجدوا مدينة غاو مدينة كبيرة عامرة بالمباني شبيهة بمدنهم في الشمال ولم يشاهدوا إلا أكواخا وضيعة مشيدة بالتبن والقش[1].

بعدها انسحبت القوات المغربية من غاو مع بداية أفريل 1591م،متجهة نحو تنبكت وصل الجيش إلى القرب من المدينة وأقام مخيما،في الجنوب من المدينة،وبقي الباشا جودر في مخيمه هذا 35 يوما للاستراحة[2]

وفي يوم 06 شعبان 999هـ دخل الجيش المغربي بقيادة جودر مدينة تنبكت وطافوا فيها وتفحصوا أحوالها واختاروا حومة الغدامسيين لاحتوائها على اكبر عمارة مكانا لبناء القصبة وشرعوا في بنائها بعد أن اخرجوا سكانها منها[3]

اما تنبكت في عهد باشا جودر(30 ماي 1591م-17 أوت 1591م) فقد حكي أن الباشا جودر دخل على الفقيه عمر بن محمود بتقبيل رأسه وخوفا منه على تلف بارود السلطان طلب منه مكان ايسكن فيه خاصة وان موسم السطر قدر قرب،غير أن القاضي أجابه بأنه لا أستطيع إعطائك دار احد لأنني لست بالملك،وقال له ادخل داري إن كان مرادك فيها،أو ادخل البلاد وانظر أي موضع يعجبك ،ثم يضيف الراوي خرج وطاف في البلد ومعه قومه حتى دخلوا موضع هذه القصبة التي وجدها أعمر ديار تنبكت،هذه القصبة أعجبتهم فأمروا أصحاب البيوت الموجودة بالقصبة بالرحيل والانتقال منها،ويضيف الراوي أن كل الديار هناك مملوءة بالملح والمال العظيم...حيث يقول الراوي اشتكى أهل المكان القاضي عمر رحمه الله أن يعطيهم وقتا حتى يجدوا بيوتا أخرى،ويضيف الراوي أن القاضي عمر طلب إمهالهم شهرا لكنهم رفضوا وأعطوهم 15 يوما فقط،غير أنهم لم يصبروا وقاموا بالهجوم على البيوت قبل انتهاء المدة وذلك في اليوم السابع،حيث خربوا البيوت واستولوا على ما بقي من أموال الديار،وقاموا بتهديم بعض الديار،بعد أن أهانوا

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 113.
(2 )عبد الرحمان زكي،المرجع السابق،ص 155.
(3)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق 113.

أصحابها وهي من أعظم واكبر المحن على أهل تنبكت[1]واحرقوا البلد وقاربوا ديار عمر بالحريق[2].

جمع الباشا جودر علماء تنبكت وتجارها ووظف عليهم الخدم والعبيد ببناء القصبة،ومنهم من كتب عليه عشرة من العبيد،ومنهم من وظف عليه سبعة وخمسة عشر وثلاثة من العبيد جعلهم يخدمون إلى صلاة العصر،وبعد صلاة العصر ينادي ابن شواش،ويأتيه منهم أكثر من 40 شاوشا[3].

حيث يأمر ابن شواش هؤلاء الشواش بسوق كل عبد إلى مولاه،ويقول لهم قولوا لأربابهم أن يعشيهم حتى يشبعوا،ويبكروا بهم حيث يحملون الطين من الصبح للعشا حتى انهوا البناء فابن كعت يقول أنه سمع من بعض شيوخ تنبكت أنهم اخبروه أن الباشا جودر قام بقطع على تجار تنبكت وقت البناء ألفا ومائتين جنيه كل شهر[4] ثم يفرقها على جنده ولما اكتملت المدينة رحل إليها هو وكامل جيشه[5].

يقال أن السلطان مولاي احمد المنصور غضب من أراء الباشا جودر الذي كان قد ارسل له سوى 100,000 قطعة ذهبية و1000 عبد ولعدم ملاحقته اسكيا إسحاق،حيث عزل السلطان مولاي احمد الباشا جودر[6].

أما تنبكت في عهد الباشا محمود بن زرقون (17 أوت 1591م-1595م) فارسل السلطان مولاي احمد المنصور الباشا محمود بن زرقون،بعد أن أمره بإعادة الجيش إلى غاو وملاحقة اسكيا إسحاق،حيث تقلد القائد محمد بن زروق زمام الأمور من قبل غزو إقليمي توات وتيكورارين وهو القائد حمو بن بركة[7].

كانت مغادرة الجيش المراكشي في أواخر شهر جويلية 1591م الموافق لأوائل رمضان 999ه[8]على الرغم من هذا الوقت من السنة كان أسوأ الأوقات لعبور

(1)محمود كعت ،المصدر السابق،ص 155-156.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 156.
(3)الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي...**،المرجع السابق،ص 337.
(4)نفسه، 337.
(5)محمود كعت،المصدر السابق،ص 157-158.
(6)عبد الحميد جنيدي ،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 144.
(7)السعدي،المصدر السابق،ص 144.
(8)الفشتالي،المصدر السابق،ص 149.

الصحراء،نفذ أمره السلطان بالرحيل حالا واهتم بسلامته وجيشه حيث أوصاه بالسير ليلا فقط،فالحرارة شديدة والرياح تهب والماء مادة نادرة في الصحراء،هكذا أخذت القوة الجديدة طريقها نحو الجنوب في عز الصيف وقطعت المسافة بسرعة حيث وصلوا إلى تنبكت يوم 26 شوال 999هـ-17 أوت 1591م في أمان وفي غضون سبعة أيام[1] بعد ذلك قام محمد بن زرقون بتنظيم الجيش وتجديد القيادة،فعزل جودر باشا حيث هذا الأخير بقي قائدا في الجيش ويرتقي للباشاوية في وقت الفرانج،وتحول الجيش معه وعزل القائد احمد بن الحداد ونصب مكانه القائد احمد بن عطية وقطع الأشجار والأبواب لتجهيز قاربين لذلك[2] ومن ثمة ترك محمد بن زروق حامية عسكرية بتنبكت بقيادة مصطفى التركي وخرج بقية الجيش متبعا الضفة اليسرى للنهر بحثا عن الاسكيا إسحاق[3].

اندلعت الفتنة بين القائد مصطفى التركي الذي تركه الباشا محمود بن زروق بتنبكت منذ مجيء ولد بردم الذي جاء رفقة جماعة من الزعرانيين أتباعه في أكتوبر 999هـ/591 ام،حيث حاول السيطرة على القصبة لكنه فشل وقطع رأسه وطيف به شوارع المدينة،فاشتكى أهل تنبكت إلى الفقيه القاضي أبي حفص عمر بن أبي البركات القاضي محمود بن عمر ،حيث قام القاضي بمشاورة أهل الرأي فهناك من أشار عليهم إلى قتالهم،ومنهم كف وامسك،وبعدها قام القاضي عمر ببعث خديم الشرع وأخبره بأن لا ينتفضوا إلا أن هذا الأخير قام بتزوير قول القاضي،وقال أن الفقيه يأمركم بالجهاد،هذا الأمر أدى إلى القتال في محرم 1001ه/1593م،واستمر إلى أوائل ربيع الأول من نفس السنة،وكان من بين القتلى ولد كرنفل الذي قدم مع الباشا جودر بقي في تنبكت مع القائد مصطفى[4].

ولما سمع الباشا محمود بن زروق خبر ما جرى بين جنده،وأهل تنبكت ومحاصرة أهل تنبكت للقصبة،بعث القائد مامي ومعه 324 جنديا[5].

---

(1)عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،ج 08،"السعديين"،د.ط،1988م،ص 262.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 145.
(3)الفشتالي،المصدر السابق،ص 150.
(4)السعدي،المصدر السابق،ص 155-156.
(5)نفسه،ص 157.

لما وصل القائد مامي خارج مدينة تنبكت وجد ا ن أهل تنبكت وقع تصالح بينهم وبين القائد مصطفى،دخل القائد مامي تنبكت بتاريخ 12 ربيع الثاني 1001هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1593م،الأمر الذي أدى إلى هروب الكثير من أهلها خوفا بعدما سمعوا بقدوم هذا القائد،وتركوا أولادهم وأموالهم وأزواجهم ولم يرجعوا إليها،بعد ذلك كان الناس خائفين ولم يخرجوا من ديارهم إلا بعد صلاة العصر،وفي احد الأيام بينما كان القاضي مع أهل تنبكت يشاورهم على ما يفعلون،دخل عليهم غلام القاضي الموكل بالباب فاخبره بان القاضي وجماعة من قومه يستأذنون بالدخول،فلما دخل هذا الأخير قبل رأس القاضي وقال : إن الباشا محمود والقياد يسلمون عليك ويطلب منكم العفو والغفران،وبعدها ذهب القاضي إلى قومه وقال : قطع الله المحنة[1].

جاء أبو بكر ولد الخنداس الطارقي من رأس الماء لقتال القائد المصطفى التركي في تنبكت بعد أن جهز نفسه للقتال والتقى الجيشان عند بئر الزبير،غير أن القائد مصطفى انتصر عليه بعد أن قتل الكثير من جيشه والباقي فر[2].

في يوم 22 محرم 1002هـ/23 أكتوبر 1594م،بايع الناس السلطان مولاي احمد المنصور في جامع سنكري،حيث بايعه التواتيون والفزانيون والورقليون،وفي اليوم الثاني بايعه الولاتيون والسودانيون،أما الفقهاء فتم القبض عليهم من طرف محمد بن زروق بأمر من مولاي احمد بن المنصور يوم 24 محرم 1002هـ وعلى أصحابهم وأبنائهم وقسمهم إلى نصفين،النصف الأول سيق به إلى وسط البلدة والنصف الثاني سيق به إلى خارج البلدة،حيث قتلوا العديد منهم في الطريق من بينهم الفقيه محمد الأمين والفقيه المصطفى...الخ، ثم دخل الباشا إلى ديارهم واخذ كل ما تحتويه من الأموال والأثاث...التي لا يحصيها إلا الله تعالى بما فيها من أملاك سائر الناس من الودائع[3]ثم سيقوا مقيدين إلى مراكش،حيث أودعوا السجن أول رمضان عام 1002هـ حتى يوم الأحد الحادي عشر من رمضان سنة 1004هـ،وفي الطريق إليها سقط الشيخ احمد باب

(1)محمود كعت،المصدر السابق،ص 176-177.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 164.
(3)نفسه،ص 169-170.

التنبكتي عن ظهر الجمل فكسرت ساقه،وفقد في هذه المحنة ستمائة وألف مجلد من كتبه،وفي ذروة هذه المحنة أصيبت عشيرته بوباء الطاعون فمات معظم أفرادها فيما يروي المؤرخون،وفي هذه الفترة فقد من أقاربه ابنه محمد وعمه عبد الله بن محمود بن أقيت،أن هذه المحن تفسر ضيق احمد بابا بمراكش حتى قال حين مغادرتها :"لا ردني إلى هذا المعاد ،ولا رجعني إلى هذه البلاد "[1].

وكان من المرحلين أيضا الفقيه العلامة أبو العباس احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن اقيت المدعو احمد بابا،والفقيه أبو حفص عمر بن محمد اقيت،وهناك من يقدر العلماء الذين رحلوا إلى مراكش ب 19 عالما[2]،حيث استقروا مع عيالهم في حكم الشقاق،ثم سرحوا في 21 رمضان 1004هـ ففرحت قلوبهم بذلك[3].

لما سرح الشيخ أبو العباس تصدر لنشر العلم،وهرع الناس إليه للأخذ عنه وبقي بمراكش إلى أن مات المنصور،هذا الأخير سمح لأبي اقيت في الرجوع إلى بلادهم بعد أن مات عدد كبير منهم بمراكش،وقد كان الشيخ أبو العباس يتشوق إلى رؤية بلدته حيث لم ييأس من روح الله في العودة إليها،وبعد ذلك لحق بتنبكت واستقر بها إلى أن مات سنة 1036هـ/1627م رحمه الله[4].

استولى الباشا محمود بن زرقو على الأموال التي جمعها من بيوت العلماء حيث يقال انه أهدر كل هذه الأموال،ولم يبعث للسلطان مولاي احمد المنصور سوى 1000,000 ألف قطعة ذهب[5] فغضب عليه السلطان مولاي احمد وعزله وبعث القائد منصور بن عبد الرحمان للقبض عليه وقتله وإماتته[6]

***ثانيا :مراحل الحكم المغربي بتنبكت :***

بقيت بلاد السودان النيجيري حسب المؤرخ موريس دولفاس تحت نظام الحكم المغربي أي نظام الباشاوية في الحكم بين 1591م-1780م،اي حوالي قرنين من

(1)احمد بابا التنبكتي،المصدر السابق،ص 13.
(2)عبد الحميد جنيدي،**مدينة تنبكت...**،المرجع السابق،ص 118.
(3)الناصري،المصدر السابق،ص 130.
(4)التازي عبد الهادي،المرجع السابق،ص 270.
(5)السعدي،المصدر السابق،ص 171.
(6)نفسه،ص 175.

الزمن،وأصبحت مدينة تنبكت عاصمة لحكمهم من أول يوم حيث شيدوا بها مقر لحكمهم إذ عين على رأس المدينة باشا يتولى الأمور السياسية والإدارية في المدينة غير أن الحكم الأعلى للمقاطعات ظل في يد احد القادة والباشا يعين واليا أو قائدا ينوب عنه في تسيير الشؤون السياسية والإدارية وأمينا يكلف بأمور المال يسمى كوهيا وقاضيا يفعل في أمور الشرع وأكثر من ذلك حامية عسكرية للدفاع عن المدينة ضد الهجمات الخارجية [1]وقد مر حكم هؤلاء الباشاوات بثلاث مراحل كل واحدة لها مميزاتها :

***1-المرحلة الأولى من(1591م-1612م) :***

تعتبر أول مراحل العصر الحديث ببلاد السودان النيجيري،وهي فترة الحكم المغربي السعدي بالمنطقة تبدأ من بداية الحملة السعدية على بلاد السودان سنة 1591هـ،وتعتبر هذه الفترة هي فترة تعيين الباشاوات على يد السلطان السعدي من العاصمة مراكش،حيث أداروا بلاد السودان النيجيري باسم السلطان السعدي،ويستطيع عزلهم في أي وقت[2] فمن ابرز مميزات وخصائص هذه الفترة على المستوى السياسي ما يلي :

-تم خلال هذه الفترة توطيد الحكم السعدي،وتوحيد إلحاق رقعة البلاد بالدولة السعدية،ومحاولة القضاء على التمردات الداخلية :"واخذوا في التمهيد وتسكين الشارد وتامين الطريد،وبسط الصدر حتى أطمئنت النفوس...واستقرت الافئدة.." حيث تم القضاء على التمردات الداخلية فكانت سياستهم بين الصرامة والعنف مع المعارضين،حيث قبض محمود بن زروق على الفقهاء المعارضين،كما سبق ذكره والتساهل مع الخاضعين للحكم المغربي بالمنطقة،وهكذا تم الولاء والطاعة من المدن الرئيسية تنبكت،غاو،جني وماسينا[3] لأحمد المنصور الذهبي"واستقام الحال..."[4].

أما الباشاوات فقد قضوا أيامهم في القضاء على الثروات التي كانت تكاد تنقطع ضد الحكم المغربي في مختلف جهات المملكة،أما المتأخرون منهم فأصبحوا يلاقون المؤامرات

---

(1)السعدي، المصدر السابق ،ص 175-176.
(2)غربي الحواس،المرجع السابق،ص 59.
(3)ماسينا :تحتل منطقة ماسينا الأراضي الخصبة،التي ترويها مياه نهر النيجر شمال وغرب مدينة جني يسكنها الشعب الفولاني منذ القرن 14م..انظر يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص 16.
(4)السعدي، المصدر السابق،ص 162-184.

بشكل مستمر تقريبا من طوائف الجند التي كانت قيادتهم بتلك البلاد[1]،ومن الباشاوات الذين حكموا في هذه الفترة :

***1-الباشا جودر(30 ماي 1591م-17 أوت 1591م)*** :وهو جودر باشا ولد بـــ: ليقفاس بمملكة غرناطة،عاش بقصر المنصور منذ صغره،وكان قصير القامة،ازرق العينين،قيل أصله اسباني أو برتغالي ذو حزم وقوة على الحرب[2] حيث قيل عنه انه سبب وفاة القائد منصور إلى مدينة تنبكت في 12 مارس 1595م، تلقاه الباشا جودر،سكن القائد منصور تنبكت وكان رجلا مباركا عادلا،وقام بالقضاء على الظلم والفسق بالمسلمين،ثم دخل في خلاف مع الباشا جودر فكتب للسلطان مولاي احمد ففرق بينهما بقوله :"حكم الأرض لجودر حيث هو فتحها،بينما حكم الجيش للقائد منصور،توفي القائد جودر عام 1005هـــ[3] .

***2-الباشا محمود بن زروق(17اوت 1591م-1595م)*** :احد مماليك المخدوم أبي العباس المنصور له بسالة وشجاعة وسياسة وفضل،تربى بالقصر الملكي بمراكش منذ صغره مثل جودر باشا لكنه أكثر منه حزما ومغامرة[4].

***3-الباشا محمد طابع(1597م-1598م)*** : وصل محمد طابع وجنوده إلى تنبكت في 19 جمادى 1006هـــ الموافق لـــ 28 ديسمبر 1597م،بعد أن أرسله مولاي احمد باشا ومعه 1000 جندي من المشاة والخيالة،توفي محمد طابع في 05 شوال 1006هـــ الموافق لـــ 11ماي 1598م وقيل انه أطعمه السم هو الآخر[5] .

***4-الباشا عمار(1598م-1599م)***: وصل مدينة تنبكت في 1007هـــ/1598م،مكث في السلطة شهرين وأثناء حكمه تمرد على القائد مصطفى الذي جاء مع الباشا محمد الطابع

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة **تنبكت**...،المرجع السابق،ص 120.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 137.
(3)نفسه،ص 176.
(4)غربي الحواس،المصدر السابق،ص 45 .
(5)السعدي،المصدر السابق،ص 182.

في ديسمبر 1598م،قام السلطان احمد بإرسال الباشا سليمان مكانه بعد أن اعلم بالتصرفات السيئة التي قام بها في المنطقة[1].

*5-الباشا سليمان (1599م-1604م)* : بعد أن وصل هذا الأخير تنبكت عام 1008هـ/1599 ومعه 500 جندي،بعد أن أرسله السلطان احمد المنصور على القائد مصطفى التركي[2].

*6-الباشا محمود لنك(1604-1612م)* :هو آخر الباشاوات من مراكش،وصل إلى تنبكت في يوليو 1604م ومعه 300 جندي مات مطعونا بعد أن حكم 08 أعوام[3].

*2-المرحلة الثانية(1612م-1660م)* :

وهي فترة تعيين الباشاوات على يد طوائف الجند بالسودان النيجيري،فيعلن الجيش عن الباشا،كما يتصرف أيضا بعزله ومن مميزات هذه الفترة سياسيا انه كان القائد علي التلمساني اول من أعلن باشا عن طريق الجيش سنة 1612م،حيث قام بانقلاب وعزل الباشا محمود لنك،أخر الباشاوات من مراكش وأخر باشاوات الفترة الأولى،وبذلك فتح باب الغزلان،فتناولت فترات الحكم من باشا إلى أخر تطول وتقتصر،كما انقطعت الإمدادات من مراكش على البلاد[4]لكن مازالت كلمة السلطان السعدي تنفذ هناك،ويستطيع التغيير وتصل أخبار المغرب هناك،هذا كله دليلا على اتصال هذا القطر بالمملكة السعدية فرغم أن الأمراء السعديين تعرضوا لظروف داخلية قاسية فقد ظلوا يعتبرون أنفسهم مرتبطين بتلك الجهات الجنوبية،ففي سنة 1037هـ/1627م أعلن في تنبكت وجني عن موت السلطان زيدان وتنصيب ابنه المولى عبد الملك[5]فعام 1680م يمثل نهاية السيادة السعدية بالمنطقة وانهيارها أيضا بالمغرب الأقصى بعد قتل آخر سلاطينها مولاي العباس وبموته انقرضت دولتهم وأيامهم[6]ومن بين باشاوات هذه المرحلة :

---

(1)السعدي،المصدر السابق ،ص 189-190.
(2)نفسه،ص 191.
(3)نفسه،ص 191-192.
(4)السعدي،المصدر السابق،ص 221-223.
(5)نفسه،ص 227-322.
(6)مجهول،تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرية،نشره جورج كولان،مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،1934،ص 107.

1-*الباشا علي بن عبد الله التلمساني(1021-1027هـ/1612-1617م)* :آخر باشاوات مراكش،عين من طرف الجيش،وعزل في 13مارس1617م،بعدان حكم خمس سنين إلا شهرين[1].

2-*الباشا احمد بن يوسف الطجي(1026-1027هـ/1617-1618م)* :في فترة حكمه عرفت البلاد جفافا،وهلك عدد كبير من أهل تنبكت بسبب المجاعة،حيث أكل الناس البهائم الميتة وحتى الأدميين،كما حل بالبلاد وباء مات منه الكثير،كما قام الناس ببيع أثاثهم وأمتعتهم بسبب الغلاء الفاحش،حتى ان الشيوخ يرددون بأنهم لم يروا مثل هذا الغلاء قط،ولم يسمعوا بمثله من قبل،عزل الباشا احمد بن يوسف من طرف الجيش بعد أن مكث ستة سنوات في السلطة[2].

3-*الباشا حد بن يوسف الاجناسي(1027هـ/1618م)* :توفي في جانفي 1619م،حكم سنة.

4-*الباشا محمد بن احمد الماسي(1028-1030هـ/1619-1621م)* :عين باتفاق من طرف الجيش،وقتل على يد كبراء الجيش،وعلق في السوق في يوم 04 نوفمبر 1621م[3].

5-*الباشا يوسف بن عمر القصري(1031-1036هـ/1627-1628م)* :عين من طرف الجيش،مكث في السلطة 05 سنوات وخمسة أشهر.

6-*الباشا ابراهيم بن عبد الكريم الجراري(1036-1037هـ/1627-1628م)* :عين سنة 1036هـ/1627م،وعزل بعد سنة.

7-*الباشا علي بن عبد القادر* :بقي في السلطة 04 سنوات.

8-**الباشا علي بن مبارك الماسي** :مكث في السلطة 03 أشهر.

9-*الباشا علي مسعود بن احمد محمود الشرقي.*

10-*الباشا عبد الرحمان بن القائد احمد بن سعدون الشاظمي* :مدة حكمه سنة واحدة.

11-*الباشا سعيد بن علي المحمودي* :حكم سنة واحدة.

---

(1)السعدي،المصدر السابق،ص 220.
(2)نفسه،ص 220-221.
(3)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت..،المرجع السابق،ص 122.

12-*الباشا مسعود بن منصور الزكري(1046-1053هـ/1636-1643م).*

13-*الباشا محمد بن محمد بن عثمان(1053-1055هـ/1643-1645م).*

14-*الباشا احمد بن الباشا علي بن عبد الله التلمساني* :مدة حكمه سنتين.

15-*الباشا حميد بن عبد الرحمان العيوني.*

16-*الباشا يحي بن محمد الغرناطي.*

17-*الباشا احمد بن الباشا حد بن يوسف الاجناسي.*

18-*الباشا محمد بن موسى.*

19-*الباشا محمد بن احمد بن مسعود الشاظمي*[1].

3-*المرحلة الثالثة(1660-1780م)* :

إن عام 1660م يمثل نهاية السيادة السعدية بالمنطقة وانهيارها ايضا بالمغرب الأقصى،بعد قتل أخر سلاطينها مولاي العباس :"...وبموته انقرضت دولتهم وأيامهم..."[2] هذه الفترة تعتبر مرحلة جديدة ببلاد السودان النيجيري كانت نتيجة للوجود المغربي خاصة إذا علمنا أن الأسرة الحاكمة سنة 1660م هي أسرة هجينة نتيجة زواج المغربيين بالسودانيات تعرف باسم الارما،غلبت عليها اللغة السنغائية هذه الأخيرة تمركزت بمدينة تنبكت لذلك لا يمكنها أن تمثل حكما مغربيا،هكذا من باب الصدفة اقترنت نهاية الدولة السعدية بالمغرب الأقصى بنهاية سيادتها أيضا على السودان النيجيري[3].

هذه المرحلة (1660-1760م) أصبحت فيها سلطة الباشاوات لا تتجاوز حدود تنبكت والأماكن القريبة منها حيث امتاز حكمهم بالضعف[4].

ذكر الباحث حسن احمد محمود بان عدد الباشاوات في هذه المرحلة 1650-1660م،الذين تعاقبوا على حكم تنبكت ما يقارب مائة وثمانية وعشرون باشا ذلك يعني أن كل واحد حكم ما يقارب ثمانية أشهر[5].

(1)السعدي،المصدر السابق،ص 256-288.
(2)مجهول،تاريخ الدولة السعدية،المصدر السابق،ص 107.
(3)غربي الحواس،المرجع السابق،ص
(4)المغيلي محمد عبد الكريم،المصدر السابق،ص 15.
(5)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 124.

***ثالثا قضاة وأئمة مسجد الجامع الكبير بتنبكت في العهد المغربي السعدي :***

***1-القضاة :***

***1-القاضي محمد بن،اندغ محمد بن احمد بري :***

كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا،فقيها،محدثا،قاضيا،اخذ عن الشيخ الأجل بركات بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب المكي واخبره بصحيح مسلم جازه بمنزلة بمكة المكرمة في ذي الحجة سنة احدى وثمانين(81) وتسعمائة(981هـ)،واخذه عنده إجازة ومناولة الإمام محمد كوردجد محمد بغيغ شيخ سيدي احمد أكد الشيخ رحمهم الله تعالى تولى القضاء في تنبكت في العام السادس عشر بعد الألف 1016م،وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين سابع شوال عام عشرين بعد الألف 1020م[1].

***2-القاضي محمد بن احمد بن القاضي عبد الرحمان :***

هذا الفقيه تولى القضاء بأمر من الباشا محمد على يد حبيب بن محمد بابا بعدما عرضه على العلامة الفقيه عبد الله احمد بري،وانسحب إليه معه عشرة من الشواش فاستعذر له وطلب منه الإقالة وأعطاه عقدا مكتوبا فيه على والده محمد بابا أربعمائة مثقال ذهبا له فقال حينئذ توفي رحمه الله في 1016هـ بعد أن مكث في القضاء 15 سنة[2].

***3-القاضي محمد بن محمد بن اندغ محمد بن احمد بري :***

ولاه الباشا محمود اتاكه فتولى وهو ابن ستين سنة وتوفي وعمره أربعة وستين سنة،فمكث في القضاء أربع سنين[3].

***4-محمد بن محمد بن محمد كري :***

ولاه الباشا عبد الرحمان بن القائد احمد بن سعدون الشاظمي،حيث تولى وهو ابن خمسون سنة وتوفي وهو ابن سبعة وستين سنة،مكث في القضاء سبعة عشرة سنة[4].

***5-القاضي عبد الرحمان بن الفقيه احمد معيا :***

ولاه الباشا حد فتولى وعمره ثلاثة وسبعون سنة[1].

---

(1)البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص 109.
(2)السعدي،المصدر السابق،ص 211.
(3)نفسه،ص 208.
(4)السعدي،المصدر السابق،ص 208.

*2-الأئمة* :

أول الأئمة الذين تولوا على أيدي المغاربة للجامع الكبير مذكر منهم :

***1-الإمام محمود بن الإمام صديق :***

ولاه القاضي محمد بن احمد القاضي عبد الرحمان بعد وفاة أخيه الإمام احمد في يوم الاثنين الخامس والعشرين من رمضان في العام الخامس بعد الالف 1005هـ،فكتب بذلك للباشا جودر وهو في المحلة،فكمل له وعمره يومئذ سبعون سنة مكث في الإمامة ستة وعشرون سنة وتوفي وعمره ستة وستون سنة[2].

***2-الإمام عبد السلام بن محمد دك الفلاني :***

رحمه الله تولى الإمامة في العام الثاني والثلاثين والألف 1032هـ،ومكث فيها أربعة سنين في أيام القائد يوسف بن عمر والقاضي سيد احمد وتوفي سنة 1052هـ[3].

***3-الإمام سيد علي بن عبد الله بن الإمام سيد علي الجزولي :***

بعد وفاة الإمام عبد السلام بن محمد دك الفلاني تولى الإمامة بعده الإمام سيد علي الجزولي،وكان ذلك في شهر رجب،ويقول عبد الرحمان السعدي والله اعلم،في العام الخامس والثلاثين والألف 1030هـ،حيث مكث في الإمامة ستة وعشرون سنة وسبعة أشهر[4].

***4-الإمام محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني :***

تولى الإمامة في صبيحة الاثنين الرابع عشر من المحرم في العام الثني والخمسين والألف (1052هـ) فابتدءا من تاريخ 1660م،كما سبق ذكره أصبحت سلطة الباشاوات محدودة لا تتجاوز حدود مدينة تنبكت،وتعاقب عل حكم هذه الأخيرة في هذه المرحلة 128 باشا،حيث استمر حكمهم إلى غاية 1780م،ومنه يلاحظ أن كل باشا حكم بمعدل 11

(1)نفسه،ص 209.
(2)السعدي،المصدر السابق ،ص 209-210.
(3)نفسه،ص 210.
(4)نفسه،ص 309.

شهرا،وهذا دليل على عدم الاستقرار في حكمهم،وهؤلاء الباشاوات هم الذين يعينون الأئمة والقضاة[1].

(1)عبد الحميد جنيدي ،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 126.

# الخاتمة

حسب المعطيات المتوفرة لدينا ، فقد توصلنا إلى عدد من الاستنتاجات والنتائج وهي كما يلي :

أن مدينة تنبكت أنشأت في أواخر القرن 05هـ/16م،على يد طوارق مغشرن،وأن اسمها

أخذته من عجوز طارقية تدعى بكتو، هذه العجوز كانت تقيم عند بئر ماء واشتهرت بالأمانة حيث كان الطوارق القادمون من اماكن بعيدة يتركون بها أمتعتهم ومع مرور الزمان عرف المكان باسمها.

أن مدينة تنبكت تحتل موقعا استراتيجيا فهي تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى،هذا الموقع جعلها نقطة التقاء وتقارب بين شمال وجنوب الصحراء،هذا من جهة ومن جهة أخرى فان موقعها على الضفة اليسرى لنهر النيجر جعلها تستفيد منه خاصة في حركة التنقل بين مختلف المراكز السودانية وبالتالي فهي بمثابة محطة تجارية لمختلف القوافل البرية عبر الصحراء،والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر.

سكان مدينة تنبكت هم خليط من عناصر مختلفة من عرب وبربر وأهالي من السودان الغربي،هؤلاء اخذوا يتوافدون عليها بعد أن وجدوا ضالتهم المنشودة حيث حدثت مصاهرة بينهم،كما كان هناك عناصر من الأسبان والتجار الايطاليون،أما بالنسبة للعمارة فقد كانت المساكن في أول الحال عبارة عن زريبات ومساكن من الأحشاش،لتعرف المدينة بعد ذلك تطورا ملحوظا من ناحية العمارة حيث أصبحت منازلها منظمة جدا ومقامة على طرق حديثة وتحيط بها الأسوار والحدائق كما يوجد بها طوابق...الخ،كما بنيت القصور الفخمة من الذهب والفضة الخاصة بالأثرياء والأمراء .

بدأ نجم المدينة في الصعود خلال حكم مملكة مالي الإسلامية ولفتت لها الأنظار كمركز إشعاع علمي،وعم الأمن والرخاء خاصة في عهد منسا موسى الذي أمر ببناء المسجد الكبير بعد عودته من رحلة الحج،كما جلب عدد من الفقهاء والعلماء،هذه المدينة واصلت تطورها وازدهارها في حكم طوارق مغشرن الذين اهتموا بالعلم والعلماء،وبعد ضعف حكم الطوارق سيطر عليها سني علي هذا الأخير الذي مارس على المدينة

وسكانها حكما إرهابيا،وقام بمطاردة علمائها حيث لم يهتم بالعلم والعلماء عكس السلاطين السابقين.

توصلت كذلك إلى ان الزراعة في مدينة تنبكت تعتمد على نهر النيجر،وبالرغم من وجود بعض المحاصيل الزراعية كالحبوب والخضروات إلا أنها لا تكفي حاجيات السكان،لذلك تلجأ إلى استيراد بعض المحاصيل الزراعية من المناطق المجاورة حبوب وخضروات...الخ.

مارس أهل تنبكت العديد من الصناعات والحرف اليدوية منها الخياطة إذ كان يوجد بالمدينة أماكن لتعليم الخياطة يشرف عليهم معلمون وبها يتكون المعلمون،بالإضافة إلى صناعة الزرابي والتي يبدوا أنها انتقلت إليها من الشمال الإفريقي،كما يوجد بالمدينة العديد من الحدادين الذين يصنعون الأدوات الفلاحية مثل الفؤوس ومعاول الحرث...الخ،بالإضافة إلى صناعة أدوات التنظيف التي كان يتقنها البربر خاصة المصنوعة من الحطب.

أما بالنسبة لصناعة الذهب والفضة فقد كانت هناك أحياء متخصصة لذلك مثل حي الغدامسية وحومة السوق...الخ،كما دلت الدراسة على أن المدينة شهدت صناعة القوارب والسفن خاصة في عهد سني علي الذي شجع على صناعتها،وكانت هناك القوارب الكبيرة والصغيرة،فمنها المخصصة لنقل البضائع وأخرى لنقل المسافرين ومنها المخصصة للحروب،هذه الصناعة عرفت نشاطا في عهد جودر باشا.

أثبتت الدراسة أن المدينة أصبحت مركزا تجاريا كبيرا وعوضت ولاتة التي كانت تلعب هذا الدور،إذ أصبحت القوافل التجارية تأتي إلى تنبكت مباشرة،وبذلك أصبحت سوقا للتجار وذوي الأموال،حيث جذبت العديد من تجار فزان وتوات...،كما كان هناك تجار سودانيون وتجار من المغرب ومصر،حيث كان لها سوق دائم في منطقة جانقربير الذي يلتقي فيه التجار من كل مكان،وكان بها متاجر مخصصة للتجار الأجانب مثل التي يمتلكها الايطاليون وقد عرفت التجارة نشاطا كبيرا في عهد الاسكيا الحاج محمد الكبير الذي نادى بتجنيد مفتشي الأوزان والمقاييس وتوحيدها ومعاقبة الغش،حيث اكتفت الحكومة بمراقبة السوق دون التدخل في المعاملات التجارية.

أما بالنسبة للواردات فقد كانت المدينة تستورد العديد من البضائع منها الملح الذي كانت تفتقر له،وكانت تستورده بأثمان مرتفعة،وكان يأتي به تجار أجانب من مملحة تغاز واوديني واوليل كما كانت تستورد الكتب من المغرب والحجاز ومصر وهي تمثل اغلى بضائعها وقيمتها تضاهي أو تفوق أسعار الملح،وكان أهل تنبكت يتسارعون على اقتناءها هذا دليل على حبهم للكتب والعلم بالإضافة إلى ذلك كانت تستورد الأحذية وبعض المنتجات أما صادراتها فيأتي على رأسها الذهب الذي كان يوجد بكميات كبيرة والذي يستبدل بالملح،كذلك كانت تصدر العبيد فقد كانت تجارتهم مزدهرة،حيث بلغ سعر العبد الواحد 10 دنانير،في عهد الاسكيا داوود،وكانوا يرسلون إلى شمال إفريقيا كما كانت بالمدينة العديد من المسالك التجارية التي سهلت علاقاتها التجارية بين دول الشمال مثل:فاس تلمسان وطرابلس...الخ،بالإضافة إلى الطريق النهري المتمثل في نهر النيجر الذي كان يربطها بالمراكز السودانية الأخرى.

بعد أن أصبحت مدينة تنبكت مركزا تجاريا هاما في السودان الغربي تحولت إلى منارة علم ومصدر إشعاع ديني حيث كان يوجد بها العديد من المساجد ويعتبر مسجد سنكوري من أعظم المساجد والمعاهد التي نهضت بدور تعليمي،حيث تحول إلى اكبر جامعة وحضي بسمعة مدوية في العالم الإسلامي حيث قصده الطلاب من كل مكان،والى جانب هذه المساجد توجد العديد من المدارس،وكان التعليم في تنبكت يمر بمرحلتين الابتدائي ويشترط فيها السن ومرحلة التعليم الثانوي والعالي التي لا يشترط فيها السن،وعند تخرج الطلاب يتحصلون على شهادات وكانت هناك شهادات خاصة بالقران الكريم والحديث وشهادات عامة تشمل عدة مواد.

ومن اجل إرساء قواعد علمية قام ملوك المدينة باستقدام العديد من العلماء والفقهاء من مصر والحجاز والمغرب الذين ساهموا في تنشيط التعليم وتوسيعه وكان من بينهم عبد الكريم المغيلي، أبو القاسم التواتي...كما شجع هؤلاء الملوك الطلاب على الرحلة الى شمال إفريقيا ومصر والحجاز لطلب العلم،بالإضافة إلى عدد كبير من المؤرخين الذين ساهموا في كتابة تاريخ المدينة كأحمد بابا التنبكتي،السعدي ومحمود كعت...الخ،كما عرفت المدينة نظام القضاء الذي كان يتخوف القضاة من توليه خوفا من الوقوع في

الأخطاء، توصلت كذلك إلى أن حملة المنصور الذهبي على سنغاي عامة وتنبكت خاصة ترجع الى مجموعة من الأسباب خاصة مشكلة تغاز،حيث كانت هذه المملحة محل اهتمام السلاطين السعديين إبتداء من حكم السلطان احمد الأعرج وتواصل هذا الأخير في حكم احمد المنصور الذي اتخذ منها ذريعة لتبرير حملته على المنطقة،فقد كان الدافع الرئيسي للمنصور من وراء هذه الحملة هو السيطرة عل الثروات خاصة الذهب والملح،حيث اشرف المنصور بنفسه على الإعداد للحملة بما يحتاجه من أسلحة وجنود...الخ الأمر الذي جعله ينتصر أمام جيش سنغاي الذي كان يفتقر للأسلحة والتدريب،وبعد أن دخلت الجيوش المراكشية إلى المدينة أساؤوا إلى العلماء وتم القبض عليهم بقيادة القائد جودر باشا حيث قاموا بالاستيلاء على أموال السكان ومنازلهم،كما تم القبض عليهم من طرف محمود بن زرقون بأمر من المنصور وقتلوا البعض منهم،وسلبوا منهم أموالهم وقاموا بترحيل البعض منهم إلى مراكش،وكان من بينهم احمد بابا التنبكتي وبالرغم من قيام عدة ثورات ضد الاحتلال المراكشي كثورة أبو بكر الغدامسي غير أن الجيش المراكشي تمكن من إخماد هذه الثورات وقد كان لهذه الحملة الأثر السلبي على المدينة مما أدى إلى تراجعها في جميع الميادين.

وقد مر الحكم السعدي بالمدينة بثلاثة مراحل فالمرحلة الأولى كان الباشاوات يعينون فيها من العاصمة مراكش على يد السلطان احمد المنصور،أما المرحلة الثانية فقد كان الباشاوات يعينون من قبل أكابر الجند،أما المرحلة الثالثة فقد تميز حكم الباشاوات بالضعف وأصبحت سلطتهم لا تتجاوز حدود تنبكت، بالإضافة إلى القضاة الذي كان يتم تعيينهم من طرف هؤلاء الباشاوات.

# الملاحق

## ملحق رقم :01[1]

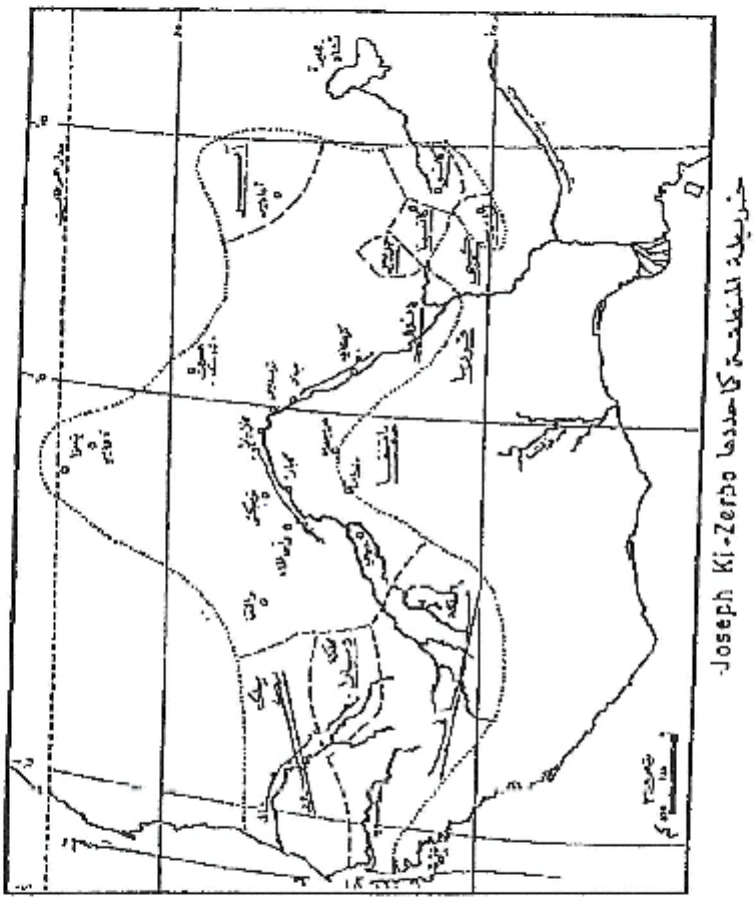


- 960 -

خريطة توضح جغرافية السودان الغربي

(1)الهادي المبروك الدالي،التاريخ السياسي...،المرجع السابق،ص 360.

ملحق رقم : 02[1]

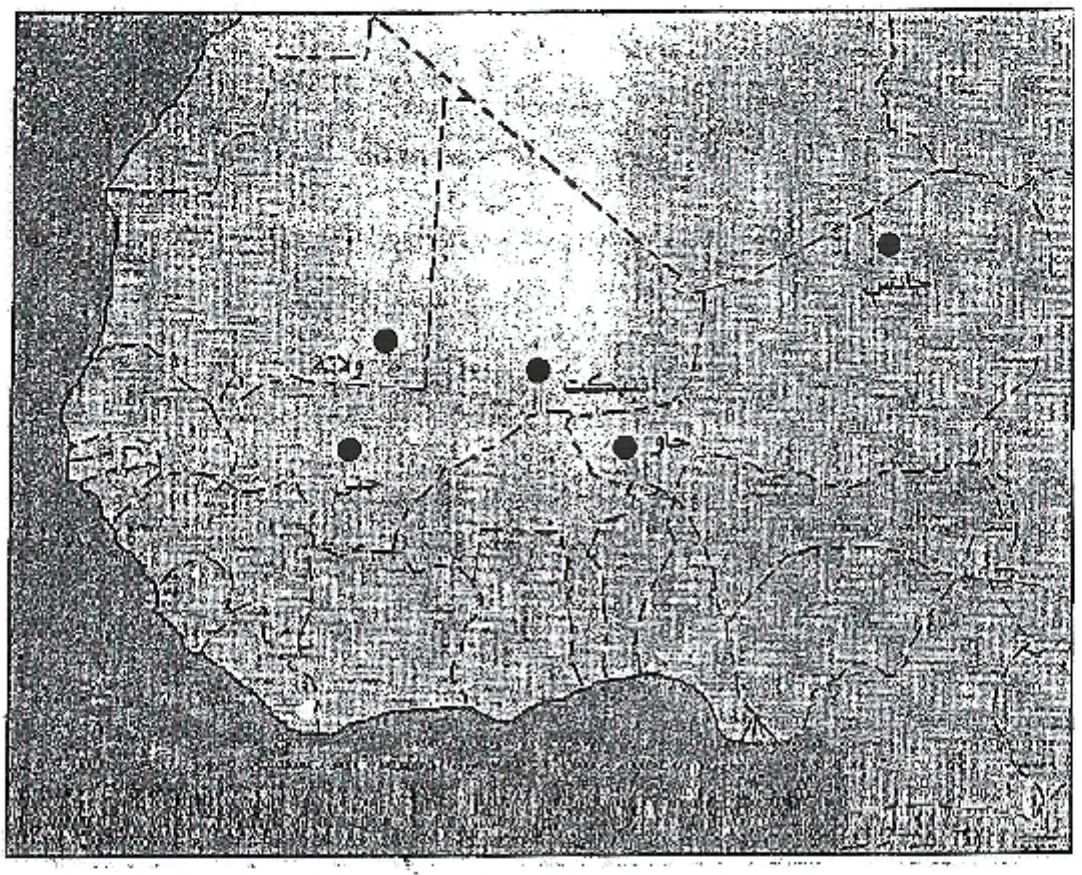


خريطة توضح أهم المراكز الحضرية في بلاد السودان الغربي[1].

(1)- مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 414.

ملحق رقم: 03[1]

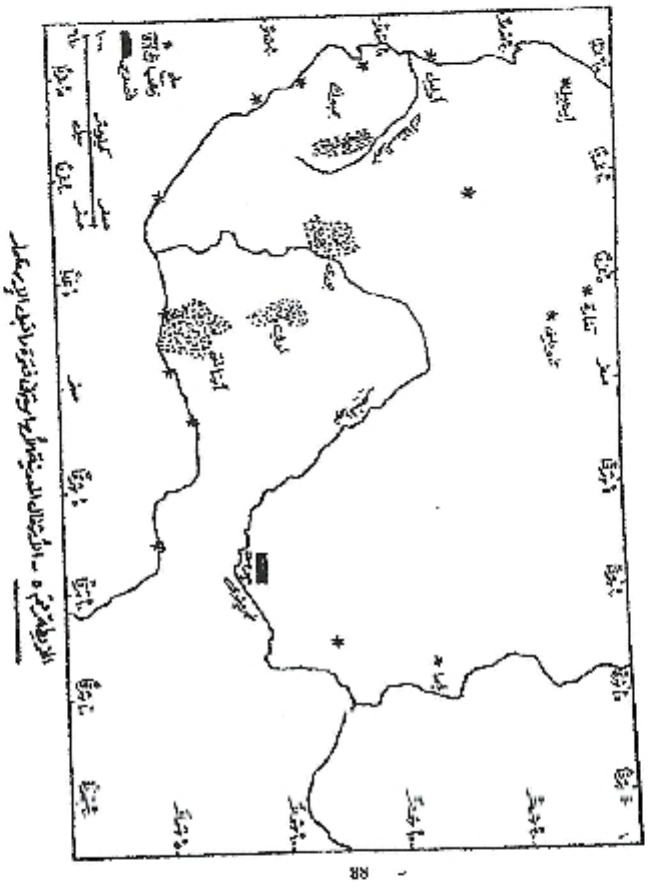

خريطة توضح مناطق تواجد الذهب والملح

(1)هوبكز (أ-ج)، المرجع السابق، ص 88.

## ملحق رقم04:[1]

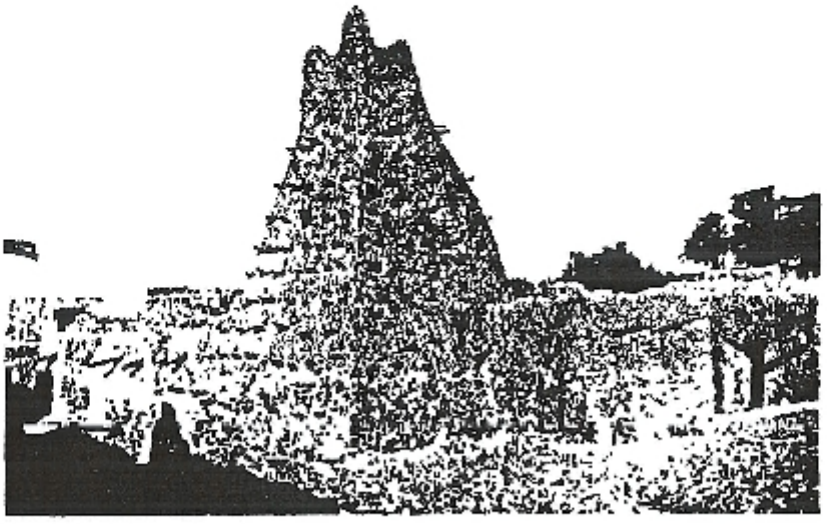

جامع سنكري في تمبكت .

Cardot, Véra, op.cit, p.129.

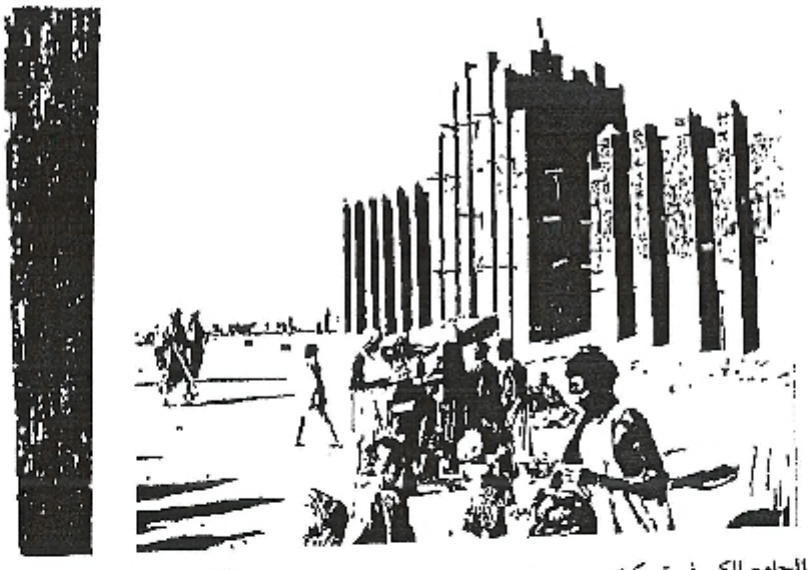

الجامع الكبير في تمبكت .

Cardot, Véra, p.129.

(1)تندش عصمت عبد اللطيف،المرجع السابق،ص 164.

**ملحق رقم:05**[1]

أئمة المسجد الكبير في تنبكت من القرن 10هـ/16م:

1- الإمام أبو القاسم التواتي،توفي 923هـ/1517م.
2- الإمام المنصور الغزالي.
3- الإمام الفقيه إبراهيم الزلفي.
4- الإمام علي الجزولي.
5- الإمام صديق بن محمد تعل.
6- الإمام عثمان بن الحسن بن الحاج التشتيي توفي 977هـ/1569م.
7- الإمام محمد بن أبي بكر اكداد الفلاني 989هـ/1581م.
8- الإمام احمد بن الإمام الصديق.

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 75-77.

**ملحق رقم:06**[1]

أشهر أئمة مسجد سنكري في تنبكت في القرن 10هـ/16م:

1- الإمام اندغ بن الفقيه المختار النحوي.

2- الإمام الفقيه أبي بكر بن احمد بير.

3- الإمام عبد الرحمان بن الفقيه محمود.

4- الإمام محمد بن محمد كري.

5- الإمام سنتا عون بن الهادي الوداني.

6- الإمام احمد بن محمد عثمان بن عبد الله أبي يعقوب التنبكتي.

(1) عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 79.

ملحق رقم:07[1]

أئمة مسجد سيدي يحي في تنبكت:

1- الإمام بن محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي المعروف ببغيغ.

2- الإمام بن محمد الونكري توفي عام 1018هـ/1609م.

3- الإمام احمد بن سعيد توفي عام 1040هـ/1630م.

4- الإمام إبراهيم بن عبد الله توفي 1140هـ/1740م.

5- الإمام إبراهيم بن احمد توفي 1157هـ/1744م.

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 80.

**ملحق رقم:08**[1]

ابرز قضاة مدينة تنبكت:

1- القاضي محمود بن عمر بن محمد اقيت تولى القضاء 904هـ/1498م،توفي سنة 868هـ/1463م.

2- القاضي محمد بن محمود بن عمر بن اقيت تولى القضاء في 909هـ/1503م،توفي عام 973هـ/1565.

3- القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد اقيت،ولد سنة 913هـ/1507م،وتوفي 991هـ/1581م.

4- القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد اقيت تولى القضاء 993هـ/1585م،توفي عام 1003هـ/1595م.

5- القاضي محمد بن أبي بكر الونكري توفي عام 1018هـ/1609م.

(1)عبد الحميد جنيدي،مدينة تنبكت...،المرجع السابق،ص 104-105.

ملحق رقم :09[1]

شجرة الملوك الاسقيين :

(1492م-1591م)

1-اسقيا محمد الكبير :193-1582م.

*الجيل الثاني (الأبناء)

أبناء الاسقيا محمد الكبير.

2-ابنه الاسقيا موسى (اكبر إخوته) 1528م-1531م.

3-الاسقيا محمد الثاني :1531م-1537م.

4-الاسقيا إسماعيل :1537م-1539م.

5-الاسقيا إسحاق الأول :1539م-1549م.

6-الاسقيا داوود :1549م-1582م.

*الجيل الثالث(الأحفاد)

أبناء الاسقيا داوود.

7-الاسقيا محمد الثالث :1582م-1586م.

8-الاسقيا محمد بان(الطيب) 1586م-1588م.

9-الاسقيا إسحاق الثاني :1588م-1591م.

(1) عبد القادر زباديةـ**مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493م-1591م**.د-ط.المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر.د-ت.ص 233.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولا:المصادر:**

1-ابن بطوطة عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي،**تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلته)**،الطبعة الأولى،الدار البيضاء،المغرب،2006م.

2- ابن حوقل أبو قاسم النصيبي،**صورة الأرض**،دون طبعة،دار مكتبة الحياة،بيروت،دون تاريخ.

3-ابن الخطيب محمد لسان الدين،**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،صححه البشير الفورتي،ط1،مطبعة التقدم الإسلامية،تونس،دون تاريخ.

4- ابن خلدون عبد الرحمان،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،7ج،الكتاب اللبناني،بيروت،1983م.ج06.

5-الارواني احمد بابير،السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية،تحقيق الهادي المبروك الدالي،الطبعة الأولى،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،بنغازي،2001م.

6- الادريسي أبو عبد الله شريف،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**،مج1،مجلدات مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،دون تاريخ.

7- البرتلي الولاتي أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق،**فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**،حققه محمد فجي و محمد إبراهيم الكتاني،دون طبعة،دار المغرب الإسلامي،بيروت،1981م.

8-- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز،**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**،مقتبس من كتاب المسالك والممالك،مكتبة أمريكا والشرق ميزون نون،باريس،1965م.

9-البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ين عبد الله الحموي الرومي،**معجم البلدان**،5ج،بيروت،1977م،ج2.

10-الشريف المليتي التلمساني ابن مريم،**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986م.

11-التنبكتي احمد بابا،ذيل الابتهاج بتطريز الديباج،تحقيق علي محمد،2ج،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2004م،ج01.

12- ، ذيل الابتهاج بتطريز الديباج،تحقيق علي محمد،2ج،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2004م،ج02.

13- ،**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**،تحقيق محمد مطيع،02ج،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،2000م.

14-الزياني أبو القاسم،**جمرة النيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**،تحقيق محمد بيضون،2003م.

15-- السعدي عبد الرحمان بن عبد الله العزيز،**تاريخ السودان**،تحقيق هوداس،باريس،1964م.

16-الفشتالي أبي فارس عبد العزيز،**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**،تحقيق عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية،دون تاريخ.

17-القلقشندي احمد بن علي،**صبح الاعشا في صناعة الانشا**،شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين،15ج،دار الكتب العلمية،بيروت،دون تاريخ،ج05.

18-المغيلي محمد بن عبد الكريم،**أسئلة الاسقيا وأجوبة المعيلي**،تحقيق عبد زبادية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1974م.

19-الناصري أبو العباس احمد بن خالد،**الاستقصاء وأخبار دول المغرب الأقصى**،ترجمة جعفري الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،1955م.

20-الوزان الحسن بن محمد ليون الإفريقي،**وصف إفريقيا**،02ج،تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر،ط02،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983م،ج01.

21- ، **وصف إفريقيا** ،02ج،تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر،ط02،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983م،ج02.

22-اليفزاني المراكشي محمد الصغير بن الحاج،**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق هوداس انجي،1988م.

23-كعت محمود بن الحاج المتوكل،**تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**،تحقيق هوداس،باريس،1964م.

24-مارمول كربخال،**إفريقيا**،03ج،ترجمة محمد حجي واخرون،الرباط،1988م،ج03.

25-مجهول، **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكماردية**،نشر جورج كولان،مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،1934م.

***ثانيا:المراجع:***

1- إسماعيل العربي،**الصحراء الكبرى وشواطئها**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

2-ادم عبد الله الالوري،**موجز تاريخ نيجيريا**،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1965م.

3-التازي عبد الهادي،**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الوسطى إلى اليوم**،المجلد الثامن،"السعديين"،1988م.

4-الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**،الطبعة الأولى،الدار المصرية اللبنانية،1999م.

5- **،التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**،الطبعة الثانية،الدار المصرية اللبنانية،2001م.

6-الماحي عبد الرحمان عمر،**الدعوة الإسلامية في إفريقيا الغربية**،الطبعة الأولى،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر،1996م.

7-بازيل دافيسون،**إفريقيا تحت أضواء جديدة**،ترجمة جمال الدين،دار الثقافة للنشر والتوزيع،بيروت،دون تاريخ.

8-بابكور عمر بن سالم،**النهضة العلمية والثقافية في مدينة تنبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي**،الإسكندرية،2002م.

9-برا يما باري عثمان،**جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**،دار الأمين للنشر والتوزيع،دون تاريخ.

10-بوعزيز يحي،**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن(20/16)م**،دار هومة،الجزائر،2001م.

11-حسن احمد محمود،**الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا الغربية**،دار الفكر العربي،القاهرة،2001م.

12-جمال زكرياء قاسم،**الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**،دار الفكر العربي،القاهرة،1999م.

13-دندش عصمت عبد اللطيف،**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(1038-1121)م**،دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى،بيروت،لبنان،1988م.

14-ذهني الهام محمد علي،**جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850م**،دار المريخ للنشر والتوزيع،الرياض،1977م.

15-زبادية عبد القادر،**مملكة سنغاي في عهد الاسقيين(1493-1591)م**،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،دون تاريخ.

16- ،**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**،دراسات ونصوص،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989م.

17-زكي عبد الرحمان،**تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**،المؤسسة الوطنية العربية الحديثة،القاهرة،1951م.

18-سيسوكو سينكي مودي،**السنغاي بين القرن 12 و16م،تاريخ إفريقيا العام**،اليونيسكو،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،لبنان،1988م.

19-عبد اللطيف علي محمد،**تمبوكتو أسطورة التاريخ**،الطبعة الأولى،دار الكتب الوطنية،بنغازي،2001م.

20-عثمان شوقي عبد القوي،**التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك**،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2000م.

21-عمار بن خروف،**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ-16م**،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2008م.

22-عمار هلال،**الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**،مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث،الجزائر،دون تاريخ.

23-غيث مطير سعد،**الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس والسابع عشر ميلادي**،دار المدار الإسلامي،بيروت ،لبنان، 2005م.

24-فرج محمد فرج،**إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين** ،ديوان المطبوعات الجامعية،2007م.

25-فيج جي دي،**تاريخ غرب إفريقيا**،ترجمة سيد نصر ،الطبعة الأولى ،القاهرة،1982م.

26-قداح نعيم،**حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**،الطبعة الثانية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دون تاريخ.

27-هوبكز(أ-ج)،**التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**،ترجمة احمد فؤاد بلبع،جامعة القاهرة،1998م.

28-يحي جلال،**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

**ثالثا :*المراجع بالأجنبية***

***LES OUVRAGES***

1-Dubois ,(F)**Tombouctо la Mysterieuse**,paris,1897.

2-Barth,(H),**Trevls and Discoveries in North and Central**, Vol3 ,London,1859.

3- Hascquard ,(A)**Mongraphie de Tombouctо**,paris,1900.

**رابعا:الموسوعات:**

1-الغنيمي عبد الفتاح،**موسوعة تاريخ المغرب الأقصى**،ط01،مكتبة مدبولي،القاهرة،1964م ج05.

2-سليمان الطيب،**موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية**،مج01،ط02،دار الفكر العربي،مدينة نصر،1997م،ج.01

3-شلبي احمد،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،08ج،القاهرة 1998م،ج02.

**خامسا:الرسائل الجامعية:**

1-احمد فتوح احمد عابدين،**الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر(تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي)**،رسالة ماجستير،جامعة القاهرة،السنة الجامعية،1989-1990م.

2-الأمين محمد عوض الله،**العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغي**،رسالة ماجستير،منشورة دار المجتمع العلمي،جدة،السعودية،1979م.

3-الحواس غربي،**السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591-1960)**م،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الجزائر،السنة الجامعية،2008-2009م.

4-جنيدي عبد الحميد،**مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م**،رسالة ماجستير،غير منشورة،جامعة الجزائر،2009م.

5-جعفري مبارك،**الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ/18م**،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الجزائر،السنة الجامعية،2008-2009م

**سادسا:المجلات:**

1-برنيام ماري،"مدينة تنبكت في أواخر القرن التاسع عشر"،**مجلة البحوث التاريخية**،العدد 01،يناير،1989م.

2-جنيدي عبد الحميد،" نشأة المدينة وتطورها"،**مجلة كان**،العدد 16،السنة الخامسة،رجب 1433هـ،يونيو،2012م.

3-رزوق محمد،"العلاقات العربية الإفريقية في القرن 16م"،**مجلة البحوث التاريخية**، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي،1985م.

4-زبادية عبد القادر،"القرن 16م وحركة التعليم في تنبكتو،مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب"،مجلة المؤرخ العربي،العدد 14،تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب،1990م.

5-ميغا محمد محمد كينان،"مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبوكتو وغاو وجني في عهد الاساكي"،مجلة قراءات افريقية،ع03،ذو الحجة 1429هـ سبتمبر 2008م.

فهرس المحتوى العام

- اهداء .....
- شكر وعرفان .....
- مقدمة.....5

**الفصل الأول : لمحة عن مدينة تنبكت (12-33)**

**أولا:نشأتها:** ..... ..... .....**12**

1-أصل التسمية.....12

2- الموقع الجغرافي.....14

3-التركيبة الاجتماعية.....17

**ثانيا:تطور المدينة** .....**22**

1-التطور العمراني.....22

2-التطور السياسي.....27

أ-تنبكت في عهد مملكة مالي.....28

ب-تنبكت في عهد حكم طوارق مغشرن.....31

ج-تنبكت في عهد سني علي.....32

**الفصل الثاني:الأوضاع الاقتصادية لمدينة تنبكت(35-52)**

**أولا: الفلاحة**.....35

**ثانيا: الصناعة**.....38

**ثالثا: التجارة**.....41

أ-السوق.....42

ب-المبادلات التجارية.....43

أ-الصادرات.....43

ب-الواردات.....44

ج- الطرق التجارية .....47

د-نظم التعامل.....51

1-المقايضة.....51
2-الودع.....52
**الفصل الثالث: الأوضاع الثقافية في مدينة تنبكت(54-77)**
**أولا:التعليم** .....54
أ-المساجد.....55
1-المسجد الجامع الكبير.....55
2- مسجد سنكري.....56
3-مسجد سيدي يحي.....58
4-مسجد التواتين.....58
ب-المدارس.....59
1- مراحل التعليم.....60
أ- مرحلة التعليم الابتدائي.....60
ب-مرحلة التعليم الثانوي والعالي.....61
ج-الشهادات.....63
**ثانيا: العلماء**.....65
أ-ابرز العلماء الوافدون من المغرب مصر والحجاز الى المدينة.....65
ب-ابرز العلماء المحليون الذين رحلوا طلبا للعلم.....68
ج-مؤرخو مدينة تنبكت.....70
**ثالثا: القضاء والقضاة**.....74
**الفصل الرابع:تنبكت في العهد المغربي السعدي(79-96)**
**أولا:حملة احمد المنصور الذهبي** .....79
1-أسباب الحملة .....79
أ-الأسباب الدينية .....79
1-لقب أمير المؤمنين.....79

2-توحيد المسلمين بغرب إفريقيا.....79
3-الجهاد كعامل أساسي.....80
ب-الأسباب الاقتصادية.....80
1-مشكلة تغاز.....80
ج-السبب المباشر.....83
2-التحضير للحملة والغزو.....83
**ثانيا:مراحل الحكم المغربي بتنبكت** .....**90**
1- المرحلة الأولى(1591-1612)م.....90
2- المرحلة الثانية(1612-1660)م.....92
3- المرحلة الثالثة(1660-1780)م.....94
**ثالثا: :قضاة وأئمة مسجد الجامع الكبير بتنبكت في العهد المغربي.....95**
1-القضاة.....95
2-الأئمة.....96
خاتمة.....98
- قائمة الملاحق.....103
- قائمة المصادر والمراجع.....113
- فهرس المحتوى .....120-122